



جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في
التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه
"الإسلام في الألفية الثالثة".

إعداد

د / أسامة سمير أحمد عبدالنعم

مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية،

كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر، مصر

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الثاني

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه الإسلام في الألفية الثالثة.

أسامة سمير أحمد عبدالنعميم

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: OsamaSamir.48@azahr.edu.eg

ملخص البحث

لا ريب أن للمفكرين الغربيين جهداً كبيراً في دراسة التراث الإسلامي، وكان من بين هؤلاء مراد هوفمان، الذي اعتنق الإسلام بعد بحث ودراسة وتفكير، وأخذ يكتب عن الإسلام متسمًا بالحيادة والموضوعية، فأثرى بدراسته التراث الإسلامي، وقدم للعالم صورة صحيحة عن تلك الكنوز التي حواها تراثنا المجيد.

وقد قام بالعديد من الدراسات، وألف الكثير من المؤلفات النافعة، وكان من هذه المؤلفات كتابه الممتع "الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود"، فقد أبرز في هذا الكتاب العديد من محاور الرقي الحضاري في الإسلام منها، ما يتعلق بالبعد الديني وقد جعلته الفصل الأول من البحث، ومنه ما يتعلق بالبعد العلمي وقد جعلته الفصل الثاني، ومنها ما يتعلق بالبعد الاجتماعي وقد جعلته الفصل الثالث.

وقد عالج مراد هوفمان هذه القضايا معالجة شافية مقنعة. هذا وقد ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله. وبالله تعالى التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: جهود، مراد هوفمان، الحضارة الإنسانية، التراث، الإسلام، الألفية الثالثة.

Murad Hoffmann's Efforts in Highlighting Human Civilization in Arab and Islamic Heritage Through His Book Islam in the Third Millennium

Osama Samir Ahmed Abdelnaim

*Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion
and Da'wah in Assiut, Al-Azhar University, Egypt*

E-mail: *OsamaSamir.48@azahr.edu.eg*

Abstract

There is no doubt that Western thinkers have made a great effort in studying the Islamic heritage. Among them was Murad Hoffman, who converted to Islam after research, study and reflection, and began writing about Islam with impartiality and objectivity, enriching his study of the Islamic heritage and providing the world with a correct picture of the treasures contained in our glorious heritage.

He carried out many studies and wrote many useful works, one of which was his excellent book "Islam in the Third Millennium, a Religion on the Rise". In this book, he highlighted many axes of civilizational progress in Islam, including those related to the religious dimension, which I made the first chapter of the research, the scientific dimension, which I made the second chapter, and those related to the social dimension, which I made the third chapter.

Murad Hoffman has dealt with these issues in a comprehensive and convincing manner. I have concluded the research with the most important findings. With God's blessings and success.

Keywords: *Efforts, Murad Hoffman, Human Civilization, Heritage, Islam, The Third Millennium.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن تراثنا العربي والإسلامي بحر فياض؛ فيه الجواهر والدرر لمن أراد أن يتزين
ويتحلى، وفيه اللبن والعسل المصفى لمن أراد أن يشبع ويتشفى، فكان للعالمين ملجأ
ومأوى، وجدوا فيه ضالتهم، وأخذوا منه بغيتهم، وشربوا منه علا بعد نهل^(١)، إذ قد
حوى من العلوم أشرفها، ومن القيم الحضارية أغلاها وأنفسها، فكان بذلك كنزا لا تنفد
فرائده، ولا تنتهي فوائده.

وهذه الحضارة الفريدة التي حواها تراثنا المجيد، قدمت للعالم كله نماذج فريدة
في الجوانب الدينية والعلمية والسلوكية والاجتماعية.

ففي الجانب الديني تتجلى قيم الرحمة والمساواة والتعايش السلمي مع أصحاب
الديانات الأخرى، واحترام عقائد الآخرين، وعدم إجبارهم على أن يعتقدوا ما نعتقد،
فالمسلم ينطلق من عقيدة رصينة تؤمن بجميع الكتب والرسل صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين.

وعلى الجانب العلمي الحضاري لنا نحن المسلمين، فإننا ننتيه فخرا بتلك الحضارة
العلمية، إذ المسلمون قد حازوا قصب السبق فيها، فلم يعرف العالم علما كعلم الرجال،
ولا يوجد في الحضارة الأوروبية عشر معشار ما تركه لنا الفقهاء من عيون الفقه
ومسانله، ولم تعرف الحضارة الأوروبية الرقم صفر إلا من خلال عالم مسلم.

(١) علا وهو الشرب مرة بعد أخرى، ونهلا وهو الشرب أول مرة. ينظر بهجة المحافل وبغية الأمثال
في تلخيص المعجزات والسير والشمانل ليحيى بن أبي بكر العامري الحرصي (المتوفى: ٨٩٣هـ) /١
٤٢ ط: دار صادر - بيروت.

ويعد مراد هوفمان أحد أولئك الذين غاصوا في تراثنا التليد، فارتوى من معينه الذي لا ينضب، واستخرج من كنوزه التي لا تنفذ، ثم قدمها للعالم من خلال مؤلفاته عامة، وكتابه الإسلام في الألفية الثالثة بصفة خاصة.

فأخذ مراد هوفمان يعرض صورتين متضادتين: صورة تمثل الجانب الحضاري الإسلامي، والصورة الأخرى تمثل الجانب الحضاري الغربي.

فأما الصورة الحضارية الإسلامية، فقد قدمها من خلال بيانه للعقيدة الإسلامية الصافية الواضحة العالمية الشاملة المتوازنة، وما نتج عن ذلك من إقبال الناس في الغرب على اعتناقه، ومن خلال بيانه للعلوم الإسلامية التي تنبئ عن ثراء معرفي، وعناية إلهية بهذا التراث، وقد عرض نماذج لبعض العلماء الذين كان لهم الفضل المجلى على العالم عامة وأوروبا خاصة في العديد من المجالات: كالطب والفلك والكيمياء والرياضيات وغير ذلك.

وأما الصورة الحضارية الغربية، فقد أبان عن كثير من مساوئها، وتخلفها، واضطهادها للشعوب التي وقعت تحت قبضتهم.

وقد جاء توصيف مراد هوفمان للحضارتين توصيفا دقيقا، أتى نتيجة أنه عاش - لطبيعة عمله - كثيرا في البلاد الإسلامية، فأجاد في العرض، وأصاب توصيفه المحز.

وإنه لمن دواعي البشر والسرور، أن يبين مراد هوفمان أن مستقبل الإسلام في الغرب سيشهد رقيا وصعودا بما يحمله من مبادئ وأسس، تجعله جديرا لأن يهemin بسموه وسماحته على العالم الغربي إن شاء الله تعالى.

ونظرا لأن مراد هوفمان قد أبان عن عدد من الجوانب الحضارية في كتابه "الإسلام في الألفية الثالثة" ديانة في صعود. لذا جاء هذا البحث تحت عنوان: "جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه الإسلام في الألفية الثالثة".

أسباب اختيار الموضوع:

بعد توفيق الله - سبحانه وتعالى - هناك عدة أسباب دعنتني للكتابة في هذا

الموضوع أبرزها:

١- أردت المشاركة في مؤتمر كلية البنات الإسلامية بأسبوط وعنوانه: " الحضارة

الإنسانية في التراث العربي والإسلامي - أصالة الأثر... عالمية التأثير -".

٢- يعد مراد هوفمان أحد الدبلوماسيين الألمان الذين عملوا في بلاد المسلمين، ثم

اعتنق الإسلام بعد فكر عميق ومعايشة للمسلمين فكان جديرا بأن أبين بعض

جهوده.

٣- يعد مراد هوفمان صاحب رؤية مستقبلية لصعود وانتشار الإسلام في الغرب، وقد

أبان عن ذلك في مؤلفاته.

٤- أبرز مراد هوفمان كثيرا من الجوانب الحضارية الإنسانية في كتابه الإسلام في

الألفية الثالثة ديانة في صعودا، فكان كتابه جديرا بالدراسة.

الدراسات السابقة:

لم أقف - في حدود بحثي - على دراسة تتعلق بجهود مراد هوفمان في إبراز

الحضارة الإنسانية، وإن كانت هناك دراسات أخرى حول مراد هوفمان، فهي متعلقة بنواح

أخرى، أذكر منها على سبيل المثال:

١- مقارنة الأثر الاستشراقي في آراء مراد هوفمان المتعلقة بالسنة النبوية دراسة نقدية

للدكتور خالد عبدالعزيز، وهو بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية،

العدد الخمسون، ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ.

٢- مراد هوفمان ونقده للمسيحية للدكتور علي إسماعيل الجدة أستاذ العقيدة والفلسفة

المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة - جامعة الأزهر.

حدود البحث:

سيكون كتاب مراد هوفمان "الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود" هو موضع البحث الذي أستقي من خلاله الجوانب الحضارية التي أبرزها مراد هوفمان.

منهج البحث:

١- المنهج الاستقرائي: استخدمته في تتبع الجزئيات المتعلقة بالنواحي الحضارية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتاب الإسلام في الألفية الثالثة لمراد هوفمان.

٢- المنهج الاستنباطي: استخدمت هذا المنهج في استخلاص الفوائد من توصيفاته وأقواله، ووضعها في قالب مناسب لموضوع البحث.

٣- المنهج الاستدلالي (البرهاني): استخدمت هذا المنهج من خلال عرض الأدلة الشرعية للتدليل على صحة ما رآه مراد هوفمان، ومن خلال عرض بعض الشهادات لعلماء غربيين تشهد لما ذكره مراد هوفمان وتأييده.

وقد تمثل منهجي في هذا البحث في الإجراءات التالية:

أولاً: عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ذكراً اسم السورة ورقم الآية.

ثانياً: خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصيلة، ذكراً الجزء والصفحة ورقم الحديث.

ثالثاً: قمت بترجمة كثير من الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث.

رابعاً: التزمت الأمانة العلمية في النقل، فحين أنقل نصاً من أحد المراجع فإنني أنقله من أصله الذي ذكر فيه أولاً، إلا أن يتعذر النقل منه فأقرب فرع إليه، بادئاً باسم الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصفحة ثم دار النشر وتاريخ الطبع.

خامسا: حينما يذكر مراد هوفمان اسم سيدنا محمد ﷺ بدون السيادة فإنني أضع كلمة سيدنا بين قوسين ثم أتبع الاسم الشريف ب ﷺ مراعاة للأدب مع الجنب النبوي الشريف.

سادسا: أوردت شهادات بعض الغربيين التي تعضد ما يذكره مراد هوفمان حول الرقي الحضاري للمسلمين.

خطة البحث: ضمنت البحث مقدمة وتمهيدا وثلاثة فصول وخاتمة:

أما المقدمة: فذكرت فيها خطة البحث ومنهجي فيه.

وأما التمهيد: ففيه التعريف بمفردات عنوان البحث.

وأما **الفصل الأول** فبعنوان: جهود مراد هوفمان في إبراز البعد الديني في الحضارة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان مراد هوفمان لنبذ الإسلام للعنصرية

المبحث الثاني: بيان مراد هوفمان لأثر الإيمان في تحقيق السلام النفسي والمجتمعي

المبحث الثالث: بيان مراد هوفمان للتسامح الديني في الحضارة الإسلامية

المبحث الرابع: التأثير الحضاري لنبي الإسلام ﷺ وأسبابه

وأما **الفصل الثاني** فبعنوان: جهود مراد هوفمان في إبراز البعد العلمي في الحضارة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة العلوم الإسلامية وأبرز علمائها

المبحث الثاني: بيان مراد هوفمان لأبرز العلوم الإسلامية

المبحث الثالث: بيان مراد هوفمان للفنون المعمارية في الحضارة الإسلامية

المبحث الرابع: أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية"

وأما **الفصل الثالث** فبعنوان: جهود مراد هوفمان في إبراز البعد الاجتماعي في الحضارة الإسلامية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: القيم الحضارية في المجتمع المسلم

المبحث الثاني: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب

المبحث الثالث: حماية الأقليات الدينية

المبحث الرابع: المرأة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

المبحث الخامس: الشورى في الإسلام

وأما **الخاتمة:** فذكرت فيها أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث.

والله -تعالى- أسأل أن يجعله عملاً متقبلاً، وأن يجعلني من دعائه المخلصين، اللهم آمين.

التمهيد

وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث

أولاً: التعريف بمراد هوفمان

مولده ودراسته:

ولد الدكتور مراد هوفمان عام ١٩٣١م لأسرة كاثوليكية^(١). ودرس الكاثوليكية في مدارس الجزويت، وتبحر فيها حتى عرفها حق المعرفة. ودرس هوفمان القانون في جامعة ميونخ، ونال درجة الماجستير في القانون من جامعة هارفارد سنة ١٩٦٠م. ولذلك يعتبر نفسه رجل قانون وإن مارس وظائف مختلفة. وأهم وظائفه: الدبلوماسية، حيث شغل مناصب عدة في وزارة الخارجية الألمانية منذ ١٩٦١م واستمر فيها حتى اعتزل العمل الدبلوماسي سنة ١٩٩٤م. وبدأ يحتك بالعالم الإسلامي مبكراً حين عمل بالسفارة الألمانية بالجزائر عام ١٩٦١م ولمدة عامين، ثم شغل مناصب دبلوماسية في بلاد أخرى، لكنه عاد إلى الجزائر سفيراً لبلاده سنة ١٩٨٧- أي بعد اعتناقه الإسلام بحوالي سبع سنوات^(٢).

(١) الكاثوليك: كنيستهم تسمى الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية. ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة أي إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال. ينظر المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ١٩٩، ط، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٣م.

(٢) في مقتبل عمره تعرض هوفمان لحادث مرور مروّع، فقال له الجراح بعد أن أنهى إسعافه: "إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع أحد، وإن الله يدخر لك يا عزيزي شيئاً خاصاً جداً". يقول مراد هوفمان: وبعد ٢٩ عاماً، أي في ٢٥ سبتمبر عام ١٩٨٠، استطعت أن أدرك هذا، إذ اعتنق د. هوفمان الإسلام بعد دراسة عميقة له، وبعد معاشرته لأخلاق المسلمين الطيبة في المغرب..

ولما أشهر إسلامه حاربه الصحافة الألمانية محاربة ضارية، وحتى أمه لما أرسل إليها رسالة أشاحت عنها وقالت: "لبيق عند العرب! ولكن هوفمان لم يكتف بذلك هذا، يقول: "عندما تعرضت لحملة طعن وتجريح شرسة في وسائل الإعلام بسبب إسلامي، لم يستطع بعض أصدقائي أن يفهموا عدم اكتراثي بهذه الحملة، وكان يمكن لهم العثور على التفسير في هذه الآية (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). ينظر يوميات ألماني مسلم ص ٢٣، ط، مركز الأهرام للنشر والترجمة- القاهرة، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ترجمة د/ عباس رشدي العمري. وموقع صيد الفوائد على شبكة الإنترنت <http://saaid.org>.

وانتقل من الجزائر إلى المغرب سنة ١٩٩٠م ليعمل سفيرا لبلاده في الرباط، وتتوثق معرفته بالإسلام.

وكان الدكتور هوفمان قد شغل منصب مدير المعلومات في حلف شمال الأطلسي من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٧.

عرف هوفمان الإسلام والمسلمين في الجزائر والمغرب في حياتهم اليومية الواقعية بخيرها وشرها^(١).

أهم مؤلفاته:

١- يوميات ألماني مسلم .

٢- الإسلام كبديل.

٣- الطريق إلى مكة سنة.

٤- الإسلام في الألفية الثالثة -ديانة في صعود- سنة ٢٠٠٠م.

٥- خواء الذات والأدمغة المستعمرة.

٦- الإسلام عام ٢٠٠٠.

وهي مؤلفات تنبئ عن سعة اطلاع مؤلفها، وقدرته على التوصيف والتحليل، لا سيما فيما يتعلق بالحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، ومستقبل الإسلام في الغرب.

وفاته: توفي مراد هوفمان في مدينة بون، يوم الاثنين ١٣ يناير ٢٠٢٠م، عن عمر ناهز ٨٩ عامًا، بعد صراع طويل مع المرض^(٢).

(١) جاذبية الإسلام الروحية (لماذا أسلم هؤلاء) د/ أحمد عبدالرحمن ص ٨٣، ط، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

(٢) موقع ويكيبيديا على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت.

ثانياً: الحضارة الإنسانية

جاء في لسان العرب: "حضر: الحُضُورُ: نَقِيضُ الْمَغِيبِ وَالْغَيْبَةِ؛ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُورًا وَحِضَارَةً وَالْحَضْرُ: خِلاَفُ الْبَدْوِ. وَالْحَاضِرُ: خِلاَفُ الْبَادِي. وَالْحِضَارَةُ: الْإِقَامَةُ فِي الْحَضْرِ؛ عَنْ أَبِي زَيْدٍ. وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: الْحَضَارَةُ، بِالْفَتْحِ"^(١).

وجاء في تاج العروس: "والحاضرة والحضرة والحضر، هي المَدُنُ وَالْقَرْىُ وَالرِّيْفُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَهَا حَضَرُوا الْأَمْصَارَ وَمَسَاكِنَ الدِّيَارِ الَّتِي يَكُونُ لَهُمْ قَرَارٌ"^(٢)
ومعنى الحضارة كما في المعجم الوسيط أنها: "مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي"^(٣).

"الإنسان: هو الحيوان الناطق"^(٤). (إنسان) الكائن الحي المفكر. والإنسان الإنسان الراقي ذهنًا وخلقًا. والإنسانية جملة الصفات التي تميّز الإنسان.^(٥) والإنسان كما يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق هو مركز الدائرة الحضارية^(٦).

من خلال ما سبق يمكننا القول أن: الحضارة الإنسانية تعني تقدم الإنسان وتميزه في الجانب العلمي والعملية والسلوكي في الحياة.

(١) لسان العرب لابن منظور ٤/١٩٦، ١٩٧، ط، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي ١١/٤٠، ط، دار الهداية.

(٣) المعجم الوسيط ١/١٨١، مجمع اللغة العربية، ط، دار الدعوة.

(٤) التعريفات للجرجاني ١/٣٨، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

(٥) المعجم الوسيط ١/٢٩.

(٦) الدين والحضارة د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٤٠، ط، مطبعة وزارة الأوقاف.

ثالثاً: التراث العربي والإسلامي

التراث في اللغة:

التُّرَاثُ: الميراث، وأصله وُرَاثٌ، من ورث. قال الله تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا"^(١).
قال يزيد بن الصَّعِق: وما كَانَ مَالِي عَنْ تَرَاثٍ وَرِثْتُهُ ... وَلَا صَدَقَاتٍ مِنْ نِسَاءٍ أَوَائِمٍ"^(٢).
وجاء في لسان العرب: "التُّرَاثُ: مَا يَخْلُفُهُ الرَّجُلُ لَوْرَثْتِهِ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ"^(٣). أي
أن كلمة التراث في اللغة ترادف الميراث، وبذلك تكون كلمة التراث تعني ما تركه لنا
السابقون بعد وفاتهم.

التراث في الاصطلاح:

التراث: "ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعة
وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية"^(٤).
يقول الدكتور علي جمعة^(٥): "إن التراث الإسلامي هو المنتج البشري المنقول
الشفوي والكتابي للأمة الإسلامية قبل مائة عام من الزمان".
وهذا التعريف يخرج القرآن والسنة عن وصف التراث حتى ولو كانا داخلين في معنى
الكلمة اللغوي، وكذلك يجعل التراث شاملاً لكل إنتاج قرائح العلماء والمفكرين والمفتين

(١) سورة الفجر - الآية ١٩.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للحميري اليمني ٧٣٨/٢، ط، دار الفكر المعاصر -
بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢/٢٠١.

(٤) التراث والمعاصرة لأكرم ضياء العمري ص ٢٧، سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن رئاسة المحاكم
الشرعية والشؤون الدينية بقطر، ط١، شعبان ١٤٠٥ هـ.

(٥) الطريق إلى التراث الإسلامي "مقدمات تعريفية ومداخل منهجية" للدكتور علي جمعة محمد ص
١٩، ط، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط٤، ٢٠٠٩ م.

مما ورد إلينا شفويا أو كتابة، وقولنا للأمة الإسلامية يشمل أيضا ما ورد إلينا في جميع التخصصات سواء الشرعية أو الصناعية أو التخصصات العلمية المختلفة في الطب والهندسة والفلك وغيرها، وكذلك مناحي الأدب والشعر. هذا ويشمل التعريف بذلك ما صدر عن المسلمين وغير المسلمين المنتمين للحضارة الإسلامية، ويخرج من التراث (الأعيان) التي تعد من الآثار وليس من الأدبيات.

ولقد حددت مائة عام لما جرى عليه قانون الآثار في بعض البلاد من تعريف الآثار بالموروث قبل مائة عام، وعلى ذلك تعرف أن التراث يزيد كل عام؛ وهو معنى أردته وأردت أن أنبه إليه، وهو أن أدبياتنا الآن سوف تكون تراثا في يوم من الأيام".
وبذلك يمكننا القول أن التراث هو ما تركه لنا السابقون من علوم ومعارف وفنون من شأنها خدمة الإنسانية والنهوض بها.

الفصل الأول

جهود مراد هوفمان في إبراز البعد الديني في الحضارة الإسلامية

تحدث الدكتور مراد هوفمان عن الجانب الديني في الإسلام، وما يحمله من خير للبشرية جميعا، وأنه يقدم الحلول للمشكلات التي تعاني منها البشرية، من خلال عقيدته الصافية الواضحة الخالية من الفلسفات والتعقيدات، وموازنته بين الروح والجسد، وبين الدين والدنيا، وفيما يلي بيان أهم الجوانب التي أبرزها مراد هوفمان في كتابه الماتع.

المبحث الأول: بيان مراد هوفمان لنبذ الإسلام للعنصرية

إن الدعوة إلى المساواة، ونبذ العنصرية^(١) مما نادى به الإسلام، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدل ذلك، فأما القرآن الكريم فورد فيه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢). قال الألوسي^(٣): أي خلقناكم من آدم وحواء، فالكل سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب، كما قال الشاعر:

الناس في عالم التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
وفي السنة النبوية ورد قوله ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ

(١) يعرف مصطلح العنصرية بأنه: "تزعة سياسية غير مشروعة، تفرق بين الأجناس على أساس اللون أو الجنس". ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر ١٦/١، ط، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) الحجرات - الآية ١٣.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٣١٢/١٣، ط، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٥ هـ.

أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ»^(١).

أولاً: الوجه الحضاري للإسلام في المساواة:

"يرى الإسلام أن وحدة البشر ترتكز على دعائم عديدة : أولى هذه الدعائم: الأصل الواحد لجميع البشر. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رُؤُوسَهُمْ وَرَبَّهُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا مِنْكُمْ جُمُوعًا وَنَبَاغَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) وجاء في الحديث: كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ^(٣) فالبشر كلهم إخوان، وأبناء لآدم وحواء. والدعامة الثانية: هي وحدة الوجود التي تجمع المخلوقات كافة وما خلقت من أجله، وهي عبادة الله، فقد ورد في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدَعَةٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ (٥)

يقول مراد هوفمان: "إن الإسلام نجح في القضاء نهائياً على أي تفرقة عرقية أو أحكام مسبقة يمارسها عرق ضد عرق آخر.

إنك لن تجد ديناً نجح في تقليص العنصرية والتغلب عليها بالدرجة التي حققها الإسلام. وتؤدي فريضة الحج وظيفته هائلة في هذا الشأن؛ حيث تتلاشى فيها كل الفوارق بما فيها الطبقيّة والعرقية، فيتحوّل الحج إلى حفل لا تعتبر فيه ألوان البشر. نستطيع أن نقول إن الإسلام في مجمله، يتسم بدرجة عالية من المساواة بين البشر،

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٧٤/٣٨، ح ٢٣٤٨٩، ط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) النساء - الآية ١.

(٣) أخرجه البزار في البحر الزخار ٣٤٠/٧، ح ٢٩٣٨، ط، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة،

١٩٨٨ م. والأزرقي في أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ١٢١/٢، ط، دار الأندلس للنشر -

بيروت.

(٤) سورة النور - الآية ٤١.

(٥) الإسلام في الألفية الثالثة لمراد هوفمان ص ١٨٣. ط، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، ترجمة

عادل المعلم، ط ٣، ١٤٣٤هـ - ٢٠١١ م.

ذلك أن القرآن ذكر أن المرء بتقواه وعمله وليس بغناه ونفوذه، ولا بجماله وشهرته^(١).
وقد استدل مراد هوفمان على أن الإسلام ينبذ العنصرية من خلال الآية الكريمة التي
تحدثت عن "علاقة المهاجرين بالأنصار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾"^(٢). والحديث الصحيح:
تُكْحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ
يَدَاكَ"^(٣)^(٤).

ولذلك يعد اختيار أفضل الناس وتحديد أفضليتهم هذه على أساس التقوى سلوكا
إسلاميا ومثالا يحتذى، فالتقوى يتضاءل أمامها النسب والحسب والغنى وغيرها.
ومن مظاهر تلك المساواة إمامة الناس في الصلاة، ويؤكد مراد هوفمان هذا المعنى
بقوله: "وتتجسد فكرة العمل الصالح والتقوى، في أفضلية المرء إذا غاب الإمام الرسمي
للجامع عن صلاة ما، فسرعان ما يتم اختيار أقرأ المصلين وأعلمهم بشئون دينهم، ولا
يعتد بجنس أو عرق أو مال أو جاه في هذا الاختيار"^(٥).

وقد قدم مراد هوفمان نماذج من التراث الإسلامي تدل أن الإسلام قضى على
العنصرية فيقول: "ولذلك اختير بلال العبد الأسود لأن يكون أول مؤذن في الإسلام،
والعبد سلمان الفارسي أول وزير للمالية.

ولقد سار أمراء المؤمنين على نهج اختيار الأتقى والأفضل دون النظر إلى انتماءات

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٠.

(٢) سورة الأنفال - الآية ٧٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين ٧ / ٧ ح ٥٠٩٠، ط، دا طوق
النجاة، ط ١٤٢٢ هـ. ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع باب نكاح ذات الدين ١٠٨٦/٢،
ح ١٤٦٦، ط، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٨.

(٥) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٠، ٣١.

عرقية. حتى في عهد العثمانيين لم يكن معظم وزراء الدولة من الأتراك بل من الألبان، واليونانيين والكروات والشركس. ولم يكن الانتماء العرقي يؤدي دوراً مهماً في تولي مناصب حكم أو جيش، والمثال على ذلك صلاح الدين الكردي^(١).

ويذكر مراد هوفمان موقفاً حدث معه شخصياً فيقول: "ولقد عاينت مثل هذا الموقف، أي أن تتلاشى العنصرية بفضل الدين، ولكن ليس في مكة بل في سان فرانسيسكو عام ١٩٨٥. فلقد عهدت إلي جماعة من المسلمين السود أن أؤمهم في الصلاة. أنا الوافد حديثاً ذو البشرة البيضاء، ولكن لم يكن ذلك يمثل أهمية، فقد اختاروني؛ لأنهم رأوا أنني أكثر منهم علماً"^(٢).

ثانياً: أثر نبذ الإسلام للعنصرية في اعتناق الناس له:

يذكر مراد هوفمان الأثر المترتب على هذه القيمة الحضارية في الإسلام فيقول: "لقد أدت تجربة حج واحدة لأن يدرك (مالكولم إكس)^(٣) -رئيس جماعة أمة الإسلام^(٤)- أن جماعته أمة الإسلام الموعظة في العنصرية، تسير على الدرب الخاطئ. ومنذ تلك

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٩.

(٣) مالكولم إكس (١٩ مايو ١٩٢٥ - ٢١ فبراير ١٩٦٥)، واسمه عند مولده: مالكولم ليتل، ويُعرف أيضاً باسم الحاج مالك الشباز، هو داعية إسلامي ومدافع عن حقوق الإنسان أمريكي من أصل إفريقي (إفريقي أمريكي)، صحَّح مسيرة الحركة الإسلامية في أمريكا بعد أن انحرفت بقوة عن العقيدة الإسلامية، ودعا للعقيدة الصحيحة، وصبر على ذلك حتى اغتيل بسبب دعوته ودفاعه عنها. ينظر موقع ويكيبيديا على شبكة الإنترنت wikipedia.org.

(٤) "أمة الإسلام"، حركة ظهرت بين السود في أمريكا وقد تبنت الإسلام بمفاهيم خاصة غلبت عليها الروح العنصرية، وعرفت فيما بعد باسم (البلايون) بعد أن صححت كثيراً من معتقداتها وأفكارها. مؤسس هذه الحركة والاس د. فارد Wallace D. Fard وهو شخص أسود غامض النسب، ظهر فجأة في ديترويت عام ١٩٣٠م داعياً إلى مذهبه بين السود، وقد اختفى بصورة غامضة في يونيو ١٩٣٤م. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠ هـ.

ال لحظة أصبح مسلما سنيا حقيقيا، ودفع حياته ثمنا لهذا التحول.

وليس هذا فحسب بل يذهب مراد هوفمان إلى أبعد من ذلك فيذكر أنه قد "اعتنق الكثيرون من المضطهدين والمنبوذين الإسلام بسبب معاداته للعنصرية ومساواته بين البشر، ومن هؤلاء الجماعات نذكر على سبيل المثال وليس الحصر: المنبوذين في الهند^(١)، والفلبيين العاملين في الخليج العربي، والأمريكيين من أصول إفريقية في الولايات المتحدة"^(٢).

وهذا ما أكدته جين سميث بقولها: "وبقدر ما أن الإسلام بشكل أو آخر اجتذب كثيرا من السود بوصفه ملاذا من عنصرية البيض التي ما برحت تسود المجتمع الأمريكي فإن عددا آخر من الأمريكيين وجدوا في دعوة الإسلام إلى المساواة بديلا عمليا للمسيحية التي ينظر إليها أحيانا على أنها ترتبط برياط وثيق بممارسات تصادر على المطلوب"^(٣). وبذلك يكون مراد هوفمان قد قدم لنا ما يؤكد حرص الإسلام على تحقيق المساواة بين الناس جميعا، مستدلا على ذلك بمظاهر الحج، وأن المناصب الدينية في الإسلام تقوم على الكفاءة، ولا يعتبر فيها الحسب والمال، وقد أدت دعوة الإسلام إلى المساواة ونبذ العنصرية إلى إقبال الناس عليه واعتناقه.

(١) من الشواهد على ذلك أن: حملات الهندوس اشتدت منذ سنة ١٩٨١ حين أسلمت ١٥٠ أسرة من المنبوذين بجنوب الهند هربا من الاضطهاد الذي تتعرض له على أيدي الطبقات العالية من الهندوس. ينظر موقع الجزيرة على شبكة الإنترنت.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٦٣.

(٣) الإسلام والمسلمون في أمريكا لجين سميث ص ١٠٤، ترجمة محمد الخولي، إصدار المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

المبحث الثاني

بيان مراد هوفمان لأثر الإيمان في تحقيق السلام النفسي والاجتماعي

الإنسان هو المخلوق الكرم، وهو محور اهتمام الأديان، أحاطته الشرائع بسياج من الضوابط التي تحقق له الطمأنينة والسعادة الدنيوية والأخروية، وبسياج من الأوامر التي تؤدي إلى الأمن المجتمعي.

يضرب مراد هوفمان أمثلة عما تحدثه الأوامر الشرعية من أثر في حياة الناس، فيتحدث عن أثر الصلاة في حياة المسلم^(١) فيقول: " إن الإسلام يستطيع أن يحقق معجزة وهي أن يجد الإنسان نفسه ويحفظ ذاته من خلال أدائه للصلاة، وتسليم أمره كله لله"^(٢).

كما يتحدث مراد هوفمان عن أثر امتناع المسلم عن شرب الخمر فيقول: لن يضطر رجل في مدن الإسلام أن يأخذ حذره من سائق مخمور، ولا تضطر امرأة إلى أن تحتاط لنفسها خوفاً من مخمور يتهجم عليها. لن تستمع إلى جلبية وصخب يحدثهما مخمور، سواء ليلاً في شارع ما، أو على منضدة مجاورة لك في مطعم قصده^(٣).

(١) يدل على ذلك قوله عليه السلام «يَا بَلَّالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا» والحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في صلاة العتمة ٢٩٦/٤، ح ٤٩٨٥، ط، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. وقد جاء في شرح الحديث أنه عليه السلام كان اشتغاله بالصلاة راحة له، فإنه عليه السلام كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً، وكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: ((وقرة عني في الصلاة)) وما أقرب الراحة من قرّة العين. يقال: أراح الرجل واستراح إذا رجعت نفسه إليه بعد الإعياء. ينظر عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد أشرف العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) ١٣/٢٢٥، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ. والكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الطيبي ١٢١٨/٤، ط، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ٣/٩٣٩، ط: دار لفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٦٨.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٣

ثم يتحدث عن أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلمين فيقول: "إيمان الناس ويقينهم الثابت بالقضاء والقدر، وثقتهم بهداية الله وحسابه العادل، واعتقادهم وأملهم في الآخرة يحفظ غالبية المسلمين من إحساس يبدو سمة لما يعرف بمرحلة ما بعد الحداثة بما يتضمنه من ضياع وجودي وفراغ فكري واغتراب مأساوي. كما يحميهم من الشعور بالاكنتاب بسبب تقدم العمر، كل هذه الأمور التي طالما حولت الكثير من الأطباء النفسيين إلى أترباء"^(١). ولعل ذلك يفسر لنا ظاهرة الانتحار في الغرب، والتي غالبا ما يسببها الخواء الروحي والإيماني.

وعن أثر الأذان في حياة المسلم يقول مراد هوفمان: "والأمر المهم جدا، أنك تسمع الأذان خمس مرات يوميا في العالم الإسلامي مذكرا إياك أن الله هو مانح الحياة بكل ما فيها، فهو أكبر. ومن الوظائف التي يفترض أن يؤديها الأذان، تنظيم حياة المسلم"^(٢).

ويرجع مراد هوفمان الفضل كله للإسلام في تحقيق التوازن النفسي والأمن المجتمعي فيقول: (إن هذه القيم والقواعد من قرآن وسنة هي التي انبعث منها النور والضياء)^(٣). وخلاصة القول: إن المسلم يعيش حياة مستقرة مطمئنة، من خلال تمسكه بدينه وإيمانه بأصوله ومبادئه، وهذا ما أشار إليه مراد هوفمان في هذا المبحث.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٤.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٤.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٤.

المبحث الثالث

بيان مراد هوفمان للتسامح الديني في الحضارة الإسلامية

الإسلام لا يكره أحدا على اعتناقه، والتاريخ الإسلامي كما يذكر الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب: "يحدثنا أن المسلمين الفاتحين كانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع أهل هذه البلاد ممن ظلوا على دينهم وعاداتهم وتقاليدهم، أي: كان المسلمون يسمحون بوجود حضارة أخرى تختلف عن حضارتهم، يتواصلون معها، ولا يرون بأسا من العيش بجوارها، على أن إقرار الآخرين على أديانهم وما يستلزمه هذا الإقرار من قبول لحضارة الأديان السماوية الأخرى، وأنماط حياتها، وظواهر الاجتماع الناشئة في ظلها برهان واضح على أن الحضارة الإسلامية لم تكن أبدا حضارة نفي واستبعاد وانفراد بالساحة"^(١).

وهذا ما ذكره مراد هوفمان في كتابه قائلا: (يعتبر مبدأ التسامح الديني أساسا يرتكز عليه الإسلام في دعوته للعالمية؛ حيث إنه: " لا إكراه في الدين "^(٢). وهذا الأمر يستنكر بل لا يقبل إجبار إنسان على اعتناق دين لا يرضاه بالقوة. كما ساعد على انتشار الإسلام عالميا قبول الإسلام بتعدد الشرائع والذي يتمثل في أبلغ وأجل صورة في سورة المائدة، الآيات ٤٣ - ٤٧ ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمْونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْأَعْيُنَ بِالْأَعْيُنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ

(١) حضارة الإسلام وحضارة الغرب والسلام المفقود للأمام الأكبر د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف

ص ١٩، ط، دار القدس العربي بالقاهرة، ط١، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

(٢) البقرة - الآية ٢٥٦.

كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَتَبْنَا فِيهِ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَنْ لَمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴿١﴾.

أي أن الحضارة الإسلامية تدعم التعايش السلمي مع الآخرين، ولا تسمح بإكراههم
من أجل اعتناق الإسلام، كما يسمح لهم بالعمل بشرائعهم، ولأهل الذمة في الإسلام
أحكام^(٢) تشهد بعدالة الإسلام

. يقول ول ديورانت: " ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود،
والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في
البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا
بكنائسهم ومعابدهم"^(٣).

ويقول البطريق غيثو بابه: " إن العرب الذين مكثهم الرب من السيطرة على العالم
يعاملوننا كما تعرفون؛ إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون
قسيسينا وقديسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا"^(٤).

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٤٧، ٤٨.

(٢) للإمام ابن القيم كتاب سماه: " أحكام أهل الذمة" وقد جاء فيه أن الله سبحانه وتعالى: يدفع عن
مواضع متعبدهم بالمسلمين وإن كان يبغضها، وهو سبحانه يدفع عن متعبدهم التي أقروا عليها
شرعاً وقدرها، فهو يحب الدفع عنها وإن كان يبغضها، كما يحب الدفع عن أربابها وإن كان يبغضهم.
ينظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ١١٦٩/٣، ط، رمادي للنشر - الدمام، ط ١، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

(٣) قصة الحضارة لول ديورانت ١٣/١٣٠، ط، دار الجيل، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٨ م .

(٤) أهل الذمة في الإسلام تأليف ا.س. تروتون ص ١٥٣، ترجمة حسن حبشي، ط، دار الفكر العربي.

ويذكر مراد هوفمان أن "الإسلام على استعداد لتقبل الديانات الأخرى والتسامح في وجودها، خاصة أن هذا التعدد والتنوع في الديانات مشيئة الله وشأن من شئونه في خلقه، كما ورد في الآية ٤٨ من سورة المائدة. ويتضمن القرآن مبدأ يصلح ليحكم العالم، وهو الوارد في سورة الحج: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ^٤ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ^٥ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ^٦﴾ (١) (٢).

ولم يكنف الإسلام بمنح الحرية لغير المسلمين في البقاء على دينهم، بل كان في تشريعه السمح ما يبيح لهم ممارسة شعائرهم، وما يحافظ على أماكن عباداتهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ^٧ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ^٨ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ^٩ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ^{١٠} كَثِيرًا^{١١} وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ^{١٢} مَن يَنْصُرُهُ^{١٣} وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ^{١٤}﴾ (٣)، وكان الخلفاء يوصون قاداتهم الذين يرسلونهم للجهاد بما يكفل ذلك (٤).

فقد جاء في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجنوده: "لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له" (٥).

(١) سورة الحج - الآية ٦٧.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٣.

(٣) سورة الحج - الآية ٤٠.

(٤) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام للدكتور صالح بن حسين العابد ص ٢٣، ط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٤، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٥) تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري ٣/٢٢٦، ٢٢٧، ط، دار التراث - بيروت، ط٢ - ١٣٨٧ هـ.

والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/١٩٦، ط، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١،

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

ويضرب مراد هوفمان مثالا واقعيا للتعايش السلمي فيقول " وهناك مثال رائع في ماليزيا لتعايش الملايويين والصينيين والهنود بعضهم مع بعض في سلام، وكل محتفظ بلغته وملبسه وتقاليده وطعامه ودينه، كل هذا بفضل الإسلام الذي يحارب العنصرية"^(١).
وقد عقد مراد هوفمان مقارنة بين التسامح الديني في الإسلام والتعصب في المسيحية حيث قال: "تعايش وتقبل المسلمون الديانات الأخرى وأتباعها، وهم يفعلون ذلك إلى الآن، ولم يحتدوا بالمثل المسيحي-لنذكر بونيفاتوس مع القبائل الجيرمانية- ومحاكم التفتيش"^(٢)-على سبيل المثال- حين أجبر الأول أتباع ديانات أخرى بالقوة على اعتناق المسيحية، وأجبرت محاكم التفتيش المسيحيين على اعتناق احدى صورها وإلا لحرق"^(٣).

مظاهر التسامح الديني: يذكر مراد هوفمان أهم هذه المظاهر في كتابه فيقول:

"ويتجسد التسامح الديني-هذا الأمر الذي ينص عليه القرآن- في مظاهر متعددة، مثل بقاء اليونان على مسيحيتها بالرغم من حكم الأتراك العثمانيين المسلمين لها لما يزيد على ٥٠٠ عام، وكذلك مشاهدة المرء في القاهرة وهو في طريقه من المطار لكنائس تفوق أعدادها أعداد مثيلتها من المساجد. أما رؤيتك للكتاب المقدس وهو معروض في واجهات المكتبات في المغرب، وإضاءة الصليب الذي يعلو الكنائس ليلا بأضواء النيون في دمشق، فليست آخر هذه المظاهر، ولكنها-أي كل هذه المظاهر- إنما تمثل الجانب العملي من التسامح الديني في الإسلام.
أما الجانب الآخر لهذا الأمر، فهو قدرة الإسلام على الاحتفاظ ببقائه-دون ذوبانه في معتقدات أو مذاهب وفلسفات أخرى.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٩.

(٢) ينظر في محاكم التفتيش وتاريخها كتاب محاكم التفتيش د/ ميسيس عوض، ط، دار الهلال.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٤٨

إن مواطني بيزنطة وفارس لجئوا إلى المسلمين واعتنقوا الإسلام بأعداد هائلة لثلاثة أسباب هي:

١- التسامح الديني.

٢- نظام الضرائب وممارستهم لإدارة شؤون البلاد، التي كانت أفضل أو على الأقل أقل سوءا واستغلالا ممن سبقوهم، ومحاولتهم لإقرار العدل في شؤون البلاد.

٣- كان التصور الإسلامي لصورة الإله أقرب إلى تصور الكثيرين من المسيحيين غير المؤمنين بالتصور الذي تعتقه الكنيسة الرسمية وتجزئه^(١).

أما عن العنف في المسيحية فيقدم لنا مراد هوفمان نماذج تدل على ذلك فيقول:

" فقد استطاع القيصر قسطنطين باستيلائه على عرش الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع أن يعطي من شأن المسيحية ويضعها في مصاف دين الدولة العظمى.

أما ما نتج عن هذا الأمر، فهو معروف، فلقد ظهرت مصطلحات مثل: مملكة الرب، تقسيم السلطة الدنيوية بين القيصر والبابا، الخلاف حول تنصيب القيصر عن طريق البابا، ومسيرة إعلان التوبة التي قام بها الامبراطور هنري الرابع، والتي عرفت بمسيرة كانوسا متذللًا طالبا العفو من البابا جريجوري السابع عام ١٠٧٧. وكذلك إقامة دولة الفاتيكان، وسطوتها، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، ومحاكمة الساحرات وحرقهن^(٢).

ومن النماذج التي تدل على عنف المسيحيين ما تعرض له مسلمو الأندلس^(٣) يقول مراد

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٤٨، ٤٩.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٨١.

(٣) يقول محمد عبدالله عنان: كان مصير مسلمي الأندلس بعد فقد دولتهم وزوال مملكتهم، من أروع ما عرفت الأمم الكريمة المغلوبة، وكان مأساة من أبلغ مآسى التاريخ. ينظردولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبدالله عنان ٣٠٨/٥، ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

هوفمان: "تعرض المسلمون واليهود لعملية تطهير عرقي في إسبانيا الشديدة التعصب للكاثوليكية ، استهدفت طردهم من إسبانيا التي ظلت لمدة ٨٠٠ عام تحت حكم المسلمين"^(١).

ومن التاريخ الدموي للمسيحية ما قامت به من حروب تحمل اسم الصليب، وقد أشار مراد هوفمان إلى هذا الأمر قائلا: " لقد شنت الكنيسة ٢٠٠ عام من الحروب الصليبية دون أن ينتصر العالم الغربي على العالم الإسلامي، وكذلك دون إبداء أي محاولة لفهمه إلا بعض الاستثناءات القليلة، مثل القديس فرانسيسكوس، والقيصر فريدريك الثاني، اللذين تأثرا بثقافة وتقوى وتسامح الملك الكامل^(٢)^(٣). وبذلك تتبين لنا النتيجة المؤكدة: وهي أن المسلمين قدموا نموذجا حضاريا مع غير المسلمين بمعاملتهم الكريمة، وتعايشهم السلمي معهم، وقد أكد مراد هوفمان ذلك من خلال مقارنته بين تسامح المسلمين وتعصب المسيحيين في البلاد التي سكنوها.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٥٣

(٢) الملك الكامل: مُحَمَّد السلطان الملك الكامل ناصر الدين، أبو المعالي. وأبو الْمُظَفَّر، ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب ابن شاذي، صاحب مصر. وُلِدَ بمصر سنة ستَّ وسبعين وخمسائة. كَانَ الكاملُ مُحِبًّا فِي الحديثِ وأهله، حَرِيصًا عَلَى حفظِهِ ونَقْلِهِ، ولِلعلمِ عنده سوقٌ قائمةٌ على سوق. خَرَجَ له أبو القاسم ابن الصَّفْرَاوِيَّ «أربعين حديثًا» وسمِعَهَا جماعةٌ. ينظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ٢٥٥/٤٦، ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م. و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٢٢٧/٦، ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٥١.

المبحث الرابع

التأثير الحضاري لنبي الإسلام ﷺ وأسبابه

جاء سيدنا محمد ﷺ برسالة خاتمة عالمية شاملة متوازنة؛ لتخرج الناس مما عليه من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وليغير الأخلاق الذميمة والعادات القبيحة؛ لتحل مكانها الأخلاق الحميدة والعادات التي تتوافق مع الشرع الشريف، وهو ﷺ قد أحدث بذلك نقلة حضارية كبيرة رأينا ولا زلنا نرى أثرها في واقعنا المعاصر.

يستدل مراد هوفمان على هذا الأمر فبقول: (إن العالم الأمريكي مايكل هارت وضع محمدا ﷺ على رأس قائمة ال ١٠٠ شخصية التي أثرت في تاريخ البشرية^(١))^(٢).

مظاهر التأثير الحضاري للنبي ﷺ

من خلال القراءة في ما كتبه مراد هوفمان لا سيما كتابه الإسلام في الألفية الثالثة نجد أن مظاهر التأثير الحضاري تتجلى فيما يلي:

أولاً: عالمية الإسلام:

جاء النبي ﷺ برسالة عالمية تتبين في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣). وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(١) يقول مايكل هارت: لقد اخترت محمدا ﷺ في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار. ومعهم حق في ذلك. ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا. وبعد ١٣ قرن من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا ومتجددا. ينظر كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم لمايكل هارت ص ٥، ترجمة أنيس منصور، ط، المكتب المصري الحديث.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٥٢.

(٣) سورة الأنبياء - الآية ١٠٦.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾^(١). وقوله تعالى قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا﴾^(٢). كما تتبين عالمية الرسالة في قوله ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ
قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ
أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ،
وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"^(٣).

ويستدل مراد هوفمان على هذه العالمية برسائله ﷺ إلى الملوك والرؤساء فيقول:
(ويتضح هذا في عام ٦٢٨م، أي قبل فتح مكة، وذلك عندما بعث محمد ﷺ برسائله إلى
حكام الممالك التي تحيط به، مثل قيصر بيزنطة هيراقليوس، والشاه الساساني في
فارس، والمقوقس بطريك الكنيسة القبطية بالإسكندرية" هذا الكتاب الذي كتب على جلد،
محفوظ حتى الآن بأحد متاحف إسطنبول"^(٤)).

ثانيا: وضوح الرسالة الإسلامية وشوفا:

جاء النبي ﷺ بعقيدة واضحة تتلخص معالمها في قوله تعالى "ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ"^(٥).
والقيم: "القائم الثابت المستقيم الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج"^(٦).

وقد تحدث مراد هوفمان عن هذا الأمر مشبها رسالة الإسلام بالذهب النقي
فيقول: "ورسالة الإسلام التوحيد الخالص، أشبه ما يكون بالذهب في أسمی درجات

(١) سورة سبأ - الآية ٢٨.

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم ١/٧٤، ح ٣٣٥، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد
ومواضع الصلاة ١/٣٧٠، ح ٥٢١.

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٤٧.

(٥) سورة التوبة - الآية ٣٦.

(٦) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ٦/٢٧٩، ط، دار نهضة مصر للطباعة
والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.

نقائه وخلوه من المعادن الأخرى، أي ذهب عيار ٢٤. ليس هناك درجة أعلى من هذا التوحيد يمكن للمرء أن يتخيله، وهذه الدرجة غير مرتبطة بثقافة بعينها".

وأما عن شمول الرسالة فقد جاء النبي ﷺ برسالة شاملة تنظم علاقة المسلم بربه، وعلاقته بأقاربه وذوي رحمه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بغير المسلمين، وقد تحدث مراد هوفمان عن هذا الأمر في كتابه الإسلام في الألفية الثالثة فقال: " يخلو العهد الجديد من نصوص ذات طبيعة قانونية وتنظيمية-اللهم إلا عددا محدودا جدا- بينما يزخر القرآن والسنة بالمئات من القوانين التي تنظم الحياة اليومية، بما في ذلك المعاملات المالية والاقتصادية والحياة السياسية"^(١). وقد ترتب على صفاء الرسالة الإسلامية وشمولها أن خلت العلاقة بين المخلوق والخالق من الكهنوت والوساطة في العبادة والزواج، فصارت بذلك ملائمة للناس جميعا على اختلاف أفكارهم وعاداتهم.

وقد بين مراد هوفمان هذا الأثر في كتابه الإسلام في الألفية الثالثة بقوله: " ومن النقاط التي لا تقل أهمية: حرية الفرد في علاقته بربه، أي عدم وجود وسيط بين المسلم وربه، دون سلطة كهنوتية. والزواج ليس رباطا أبديا لا يفصم. يستطيع كل مسلم أن يؤدي أي عبادة دون وجود وسيط. وخلو هذا الدين من التسلط الكهنوتي، وغياب الهيراركية فيه يؤثران بشكل إيجابي على كثير من الشباب في الغرب"^(٢).

وقد أكد مراد هوفمان هذا الأمر في موضع آخر فيقول: " فلم يلبس خليفة ما يوما ثوب البابا المعصوم، ولم يدع أحد في الإسلام -بما في ذلك (سيدنا) محمد ﷺ ذاته- الكمال أو أنه منزه عن الخطأ"^(٣).

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٨١.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٦٤.

(٣) هذا مما يستدرك على مراد هوفمان، فالعصمة ثابتة في حقه ﷺ وفي حق غيره من الأنبياء، وأما فيما يتعلق بالكمال فالأنبياء كمالهم نسبي والكمال المطلق لله وحده.

يقف المسلم أمام الله بغير وساطة أو تدخل لأي شخص مقدس أو أسرار دينية. وهكذا يصبح المسلمون ديمقراطيين أساسيين لا يخضعون لنفوذ أي رجل دين، ومدفوعين بتعاليم القرآن إلى إدارة كل شئون الجماعة عن طريق التشاور بين أولي الأمر والمحكومين بشكل ديمقراطي^(١).

ويتحدث مراد هوفمان عن هذه الحرية وما لها من دور إيجابي فيقول: "وتؤدي الحرية التي يعيشها المسلم للتعرف على دينه وممارسته دون وصاية ورقابة حكومية واضطهاد في أول الأمر، دورا إيجابيا"^(٢).

ثالثا: الإيمان بجميع الأنبياء والرسل:

من مقتضيات الإيمان بالرسالة الإسلامية، الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وقد ورد الأمر بذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَمَّانُ: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ؕ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ؕ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾﴾^(٣).

وقد أكد النبي ﷺ الصلة الوثيقة بينه وبين الأنبياء مبينا أنهم جميعا إخوة، حيث قال ﷺ «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٤).

وقد تحدث مراد هوفمان عن هذا المعنى فقال: "إن المسلمين يردون التحية لأنفسهم فكريا عندما يعدون عيسى (مثله مثل بقية الرسل) كما ورد في القرآن مسلما بالمعنى الأصلي للكلمة، أي أنه إنسان يسلم نفسه كاملا لله. فلقد ورد في سورة آل عمران :

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٦.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٥٦.

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٥٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ٤/ ١٦٧، ح ٣٤٤٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)، وكذلك ورد في سورة البقرة الآية: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُدٍ مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) (٣).

يذكر الشيخ أبوزهرة في تفسير هذا الآية الكريمة أنه " يجمع الرسل على اختلاف ما أنزل على النبيين من كتب لا تتباين في معناها، وإن اختلفت أزمانها، يجمع هذه الكتب أنها كلها في لبها وغايتها ملة إبراهيم عليه السلام، فهي ملة جامعة لا تختلف رسائل النبيين ولا تتباين عندها، فهي ملة النبيين أجمعين، وقد كانت رسالة محمد - ﷺ - هي ملة إبراهيم عليه السلام.

وفيه بيان أن إيمانهم هو إيمان إبراهيم، وبنيه، ويعقوب وبنيه، والنبيين أجمعين، فهو إيمان عام بالرسالة الإلهية لا فرق بين رسول ورسول، ولذلك قال بحق بعض الذين علموا الإسلام وما يدعو إليه: إن الإسلام دين عام" (٤).

من خلال ما سبق يمكننا القول بأن مراد هوفمان استطاع إبراز الجانب الحضاري في الدين الإسلامي، وأنه دين يساوي بين الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وبلدانهم ولغاتهم، فالمعيار الذي يحدد الأفضلية هو التقوى والعمل الصالح، ومن أجل ذلك مقت الإسلام العنصرية ونبذها، مما أدى إلى اعتناقه من قبل الكثيرين.

وقد ألقى مراد هوفمان الضوء على تسامح المسلمين مع مخالفيهم، الأمر الذي لا تجد نظيره في الحضارات الأخرى.

(١) سورة آل عمران - الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٣٦.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٢٨.

(٤) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبوزهرة ١ / ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ط، دار الفكر العربي.

جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه
الإسلام في الألفية الثالثة".

وقد ختم الفصل ببيان الجوانب الحضارية في رسالة سيدنا محمد ﷺ وأهمها عالمية رسالته وشمولها، وأنه جاء ليكمل الرسالات، ومن ثم فهو يأمرنا بالإيمان بجميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الفصل الثاني

جهود مراد هوفمان في إبراز البعد العلمي في الحضارة الإسلامية

تحدث مراد هوفمان عن البعد العلمي في الحضارة الإسلامية، مشيراً إلى السبق العلمي والمعرفي للمسلمين في شتى مناحي الحياة، سواء كان ذلك في الطب أو الرياضيات أو الكيمياء... الخ، كما ألقى الضوء على العمارة والفنون الإسلامية التي تميز بها المسلمون، والتي تشهد بالتميز الحضاري للمسلمين، ملقياً الضوء على حضارة الأندلس التي تعد نموذجاً حضارياً فريداً، يشهد بتقدم المسلمين وتميزهم، وقد لخص مراد هوفمان ذلك التأثير الحضاري بقوله: " إن النور ينبعث من الشرق"^(١). وهي عبارة تحمل العديد من المعاني التاريخية.

المبحث الأول

نشأة العلوم الإسلامية وأبرز علمائها

يتحدث مراد هوفمان عن الكنوز العظيمة في التراث الإسلامي، والمتمثلة في العلوم الإسلامية، والعلماء الذين كان لهم قصب السبق في التصانيف والاكتشافات والاختراعات المختلفة، والتي قدمت للعالم نموذجاً حضارياً، انتفع الناس - ولا يزالون - به.

أولاً: نشأة العلوم الإسلامية

انبثقت العلوم الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، فهما الأصلان اللذان تولدت منهما العلوم الإسلامية. يقول الدكتور علي جمعة: " قرأ المسلم النص، فلما استعصى عليه أمر ما فيه؛ راح يبحث عن وسائل فهمه، فصار هناك المعجم وظهرت التراكيب والنحو والصرف... تساعل: هل هذا الكلام معتاد أم معجز؟ ما الذي جعله متميزاً؟ فظهر علم البلاغة. تساعل: إذا كنت قد فهمت دلالات الألفاظ (المفردات

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٤٤، ص ٥٥.

والتراكيب)، فماذا عن الدليل والمدلول؟ وبالمثل ظهر علم النقل والتوثيق، وهو علم لم يخرج مثله في الأمم؛ وذلك لخدمة الوثوق في النص، وتوالت التصنيفات بين علوم ذاتية كالتفسير والحديث، وعلوم مضمونية كالتوحيد والفقه، وتقسيمات أخرى هي من نتاج العقل المسلم مع النص.

فالفقه مثلا من القرآن إجمالا، والقليل منه هو من القرآن مباشرة، فهناك نحو مليون ومائتي ألف مسألة فقهية، بينما الآيات أقل من ذلك بكثير من حيث العدد والحجم، إلا أن القرآن العظيم منه الانطلاق وإليه العودة، وبه التقويم، وله الخدمة، في علم الفقه وغيره من العلوم التي ورثناها^(١).

يتحدث مراد هوفمان عن تلك النشأة فيقول: "لقد تم تدوين القرآن في صحف متفرقة في أثناء حياة الرسول ﷺ، وما لبث بعد فترة قصيرة أن ظهرت كتب مطولة يجمع فيها العلماء حديث الرسول، كما ظهرت تفاسير كثيرة للقرآن الكريم. وكذلك ظهرت روايات لسيرة الرسول ﷺ، وعلوم التاريخ، وعلوم الفقه، وعلوم المعاجم، وعلوم أخرى كالنحو وغيرها من العلوم. كانت علوم اللغة والبلاغة هذه منذ بدايتها وفي مراحل تطورها المختلفة حريصة دائما على أن تكون النصوص المقدسة وما يتعلق بها من نصوص كالتفسير في متناول كل إنسان بشكل مباشر، حتى الأمي، على عكس احتكار الكنيسة النصوص المقدسة"^(٢). وبذلك يثبت مراد هوفمان تميز الحضارة الإسلامية في هذا الشأن بما دونوه من علوم لم تعرف الدنيا مثلها.

كما يشير مراد هوفمان إلى أن اعتماد علماء الإسلام على تلقي العلم مشافهة، قد حفظه من الضياع فيقول "لم يستطع السوفييت القضاء على الإسلام في آسيا الوسطى؛ لأن اعتقال علماء الإسلام وحرق المكتبات وحده لا يفرغ الإسلام من قوته، فهناك

(١) الطريق إلى التراث ١.د/ علي جمعة ص ٢٠.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٢.

عنصر الشفاهية كوسيلة تعليم^(١). وقد عرفت الحضارة الإسلامية رجالا من علمائها كانوا مضرب المثل في قوة الذاكرة والحفظ من أمثال الإمام الشافعي وعلماء الحديث والقراءات والفقه والتفسير وغير ذلك.

ثانيا: عناية التاريخ الإسلامي بالعلم والعلماء

لقد عني التاريخ الإسلامي بالعلم والعلماء عناية فائقة، يتجلى ذلك في كتب التراجم والطبقات، وقد أشار مراد هوفمان في كتابه إلى شيء من ذلك.

حديث مراد هوفمان عن اهتمام التاريخ الإسلامي بالعلماء:

لقد اهتم التاريخ الإسلامي بالعلماء اهتماما بالغا، وكان من بين هؤلاء العلماء من عرفوا بالمجددين^(٢). يشير مراد هوفمان إلى هذا الأمر قائلا: "كما أن كتابة التاريخ الإسلامي تهتم بتسمية كل قرن باسم شخصية كان لها تأثيرها البالغ في ذلك القرن بوصفه مجددا، فأطلق اسم الفيلسوف أبي حامد الغزالي (توفي عام ١١١١هـ/١١١١م) على القرن الخامس الهجري، وحمل القرن الثامن اسم الفقيه ابن تيمية (توفي ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، وسمي القرن الثاني عشر بقرن شاه ولي الله الدهلوي، المصلح

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٣.

(٢) وكان على رأس " المائة الأولى " من الذين أشار عليهم في الحديث: " إن الله يحدث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة، من يجدد لها أمر دينها "، عمر بن عبد العزيز، وعلى رأس " المائة الثانية " محمد بن إدريس الشافعي، وعلى رأس " المائة الثالثة " أبو الحسن الأشعري، وعلى رأس " المائة الرابعة " القاضي أبو بكر الباقلاني، وعلى رأس " المائة الخامسة " أبو حامد الغزالي. كل هؤلاء المذكورين نص عليهم الإمام الحافظ ابن عساكر وغيره من الأئمة، ونص على الأولين الإمام أحمد بن حنبل، ولم ينص على المائتين الآخرين، لأنه لم يدركها، وقد قيل أنه كان على رأس " المائة السادسة " فخر الدين الرازي، وعلى رأس " المائة السابعة " تقي الدين بن دقيق العيد. ينظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد الياضي ٢/٢٢٨، ط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

الهندي (توفي ١١٧٦ هـ ١٧٦٣م)، وعرف القرن الرابع عشر بقرن الشيخ محمد عبده
المجدد المصري (توفي ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥م)^(١).

وقد فصل مراد هوفمان الحديث في هذا الجانب في كتابه الإسلام كبديل^(٢) أقال: (كونت
بهجة التطلع للمعرفة مع الاستعداد الدائب لاستخدام العقل منصة الانطلاق الصحيحة،
ليحقق المسلمون بدءاً من أواخر القرن الثامن الميلادي إنجازاتهم العلمية الهائلة.
نكتفي بضرب المثل بأربعة عشر منها:

* ابن فرناس (ت ٨٨٨) أول من حاول الطيران باستخدام آلية من الأجنحة.

* محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٨٤٦) أبو الجبر واللوغاريتمات، وقد اشتقت الأخيرة
من اسمه.

* أبوبكر الرازي (٨٤٦ - ٩٣٥) درست جامعات أوروبا كتابه المنصوري لعدة قرون.

* الفيلسوف والحكيم ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) وموسوعته الطبية "القانون" ظلت مرجعا
للجامعات الأوروبية حتى القرن التاسع عشر.

* الحسن بن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٩) ترك تراثاً علمياً ضخماً في الرياضيات والفيزياء
والفلك، وهو الذي أنشأ علم الضوء الحديث وألف كتاب المناظر الذي استقى منه علماء
أوروبا معلوماتهم عن الضوء، وترجم إلى اللاتينية عام ١٥٧٢ وألف ٤٤ كتاباً في
العلوم الطبيعية والرياضية، وهو أول من قدم تفسيراً صحيحاً لظاهرة قوس قزح، وهو
الذي استحدث أسماء: الشبكية، القرنية، السائل المائي، السائل الزجاجي، ومهد
لاستعمال العدسات لإصلاح عيوب الإبصار، وهو الذي صحح أن الإبصار هو عبارة عن

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٨.

(٢) الإسلام كبديل مراد هوفمان ص ٤٥، ٤٦، ترجمة عادل المعلم، ط، دار الشروق، ط ١، ١٤١٨ هـ
- ١٩٩٧ م.

سقوط الضوء من المرئي إلى الرائي، وقال إن الأشعة الضوئية تسير في خطوط مستقيمة.

*أبوالريحان البيروني (٩٣٧ - ١٠٥٠) متعدد العبقريات مثل جوته، مؤرخ للعلم، ديبلوماسي، باحث في اللغة السنسكريتية، فلكي صيدلي، خبير بالفلزات...

*عمر الخيام (ت بين ١١٢٣، ١١٣١) شاعر، رياضي، صحح التقويم الهندي بدقة أعلى من تقويم ١٥٨٢ الجريجوري.

*الفيلسوف ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) ولتعلقاته على أرسطو تأثير بالغ على أوروبا (وقد اكتشف البقع الشمسية خلال وقت فراغه).

*الحكيم المصري ابن النفيس (ت ١٢٨٨) وقد اكتشف الدورة الدموية.

*ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٦٨ أو ١٣٧٧) الرحالة المغربي، ذهب حتى تيمبوكتو وبكين ونهر الفولجا وهو شبيه بماكو بولو.

*ابن خلدون الأندلسي (١٣٣٢ - ١٤٠٦)، ومقدمته لموسوعته عن تاريخ العالم أهلته لأن يصبح مؤسس علمي الاجتماع والتاريخ الحديثين، مع إحدائه ثورة نقد المصادر.

*الملاح أحمد بن مجيد، المرجع في عبور المحيطات في القرن الخامس عشر.

*أمير البحر والجغرافي التركي بيبري ريس (١٤٨٠ - ١٥٥٣) صاحب كتاب "البحرية" الذي ما زال يذهل الناس بدقة خرائطه البحرية، ورفيقه في العلم سيدي علي ريس (ت ١٥٦٢) الذي قاس الشواطئ الآسيوية وطور علم الفلك الملاحي. وبذلك يكون مراد هوفمان قد قدم نماذج من علماء المسلمين في عدة مجالات كانوا شعلة حضارية للعالم أجمع.

المبحث الثاني

بيان مراد هوفمان لأبرز العلوم الإسلامية

يلقي مراد هوفمان الضوء على اللغة العربية، وعلم الحديث الشريف وعلم الرجال،
وعلم الفقه والمذاهب الفقهية، وهو أمر تميزت وتفردت به الحضارة الإسلامية.

أولاً: اللغة العربية: تحدث مراد هوفمان في كتابه عن اللغة العربية فقال: "كانت اللغة
العربية التي نتحدث بها قبيلة قريش بمكة قد تطورت في القرن السابع الميلادي^(١)،
حتى صارت لغة فصحي بليغة تصلح لأن تكون وسيلة ووعاءً لغوياً للرسالة الجديدة.
ولكي نتمكن من فهم هذا، لابد لنا من التعرف عن قرب على هذه اللغة الدقيقة، لذلك
سأسوق بعض الأمثلة الدالة: فاللغة العربية قادرة على التعبير عن مقولات متجددة
المعاني، ومن الممكن كذلك أن تعبر هذه اللغة بصيغة الماضي عن أشياء مستقبلية
يقينية الوقوع، كما لو أنها قد حدثت فعلاً. وأخيراً يمكن أن نشق من كل فعل عربي
بضعة مشتقات قد تتجاوز العشرين، سواء تحقق معناها في الحقيقة أو لا. وهذا يتيح

(١) بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وكثرة الداخلين في الإسلام، ظهر اللحن في اللغة، فخشي رجال
العلم من ضعف ملكة اللغة عند المسلمين، فأسرعوا إلى وضع القواعد والضوابط التي تكفل سلامة
اللغة ودلالات الألفاظ خاصة في القرآن الكريم، وسميت مجموعة هذه الضوابط بعلم النحو. وشرع
علماء البصرة في تدوين اللغة، فقد صنف الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥ هـ / ٧٢٠ -
٧٩٢م) كتابه المشهور العين. ويعزى الفضل إلى الفراهيدي وسيبويه في وضع أصول النحو
العربي، على أن أبا الأسود الدؤلي سبق الجميع في بحث المواضيع النحوية والتكلم في أصوله لذلك
يعتبر مؤسس علم النحو. وظهرت ثلاث مدارس اهتمت بدراسة علوم اللغة العربية هي مدرسة
البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد. وبرز عدد كبير من العلماء المسلمين الذين اشتغلوا باللغة
والنحو منهم: ابن الأعرابي، وابن السكيت، وابن قتيبة، وابن جني. ينظر كتاب أضواء على تاريخ
العلوم عند المسلمين د/ محمد حسين محاسنة ص ١٧٣، ١٧٤ بتلخيص، ط، دار الكتاب الجامعي -
الإمارات، ط١، ٢٠٠٠م.

للغربية أن تكون مهياًة لتفكير فلسفي تأملي وعلمي فرضي"^(١). ولعل هذا الشأن الرفيع
للغة اللغربية، هو ما جعل أعداء الإسلام يجعلونها هدفا لهم؛ لإضعافها والقضاء عليها،
ويأبى الله ذلك، فهي لغة كتابه المجدد، وبحفظها يحفظ الدين.

ثانيا: علم الحديث الشريف

أولاً: تعريف الحديث: "اختلف المحدثون في تعريف الحديث وأشهرها تعريفان:

الأول: وهو مذهب جمهور المحدثين: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير
أو صفة خلقية- بكسر الخاء وبضمها- وكذلك ما أضيف إلى الصحابة والتابعين.
الثاني: وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة فقط"^(٢).

ثانيا: بيان مراد هوفمان معايب صحة الحديث وتفرد التراث الإسلامي بعلم

الرجال: (ولقد اتفق العلماء على عدم القول بصحة أي حديث إلا إذا توافرت له الشروط

التالية: - أن تتصل سلسلة الرواة حتى الرسول ﷺ.

- أن يكون الرواة ثقات (الأمانة)، وضابطين (الإتقان). وقد نشأ لتحقيق هذا الشرط علم

"الرجال"^(٣)، أي تراجم وسير ذاتية محققة بدقة عن الشخصيات التي يروى عنها، وتفرد

العلوم الإسلامية بهذا العلم الذي ليس له نظير في اليهودية ولا المسيحية.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١١١.

(٢) بلوغ الأمال من مصطلح الحديث والرجال للدكتور محمد محمود أحمد بكار ص ٤١، ٤٢، ط، مكتبة دار السلام-
القاهرة، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

(٣) تنوع التصنيف في علم الرجال، من كتب معرفة الصحابة إلى كتب الطبقات إلى كتب الجرح والتعديل إلى كتب التواريخ
المحلية، ثم كتب تمييز الأسماء بمختلف أنواعها؛ مما يدل على العناية الفائقة والجهود العظيمة والدقة المتناهية التي
قام بها علماء هذه الأمة لمعرفة أسماء الرواة وتمييزها وبيان حال كل رجل حتى لا يكاد يوجد راي في القرون الثلاثة
الأولى له مشاركة في الرواية إلا وقد عُرف شخصه وبيّن حاله.

ولذلك كان هذا العلم - علم الرجال - بحق خاصية امتازت بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي ميزة خاصة لأهل
الحديث في هذه الأمة بخلاف غيرهم من الطوائف الذين ليس لهم من هذا العلم نصيب. ينظر علم الرجال نشأته وتطوره
من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع لمحمد بن مطر الزهراني ص ٣٥٧، ط، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض،
المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

- أن يكون الحديث بلا علة، لا في السند ولا في المتن.

ولقد كان هؤلاء العلماء حريصين على التدقيق في شروط الحديث الصحيح عندما يختص الأمر بالأحكام، أكثر من حرصهم عندما يختص الأمر بمكارم الأخلاق والزهد والرفائق.

ويعد صحيح البخاري أصح المراجع، مع موطأ مالك، وبعدهما صحيح مسلم. فقد قام الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٨١٠ - ٨٧٠) بغربة ٦٠٠ ألف رواية وفحصها وفق المعايير العلمية، ثم اطمأن إلى أقل من ثلاثة آلاف حديث جمعها في كتابه المشهور، وأدى تكراره لأجزاء منها إلى أن وصلت إلى أكثر من سبعة آلاف حديث في كتابه^(١). وتلك الشروط التي أشار إليها مراد هوفمان هي شروط المحدثين، وهي من وسائل حفظ السنة النبوية المطهرة.

ثالثاً: علم الفقه

أولاً: تعريف الفقه: "والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"^(٢). أو "هو مجموعة من الأحكام الشرعية العملية المستفادة من أدلتها التفصيلية"^(٣)

ثانياً: حديث مراد هوفمان عن المذاهب الفقهية: وقد عد مراد هوفمان اختلاف

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٥٥.

(٢) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول لأبي محمد جمال الدين الإسنوي ص ١١، ط، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. و بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الأصفهاني ١/١٨، ط، دار المدني، السعودية، ط ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٣) علم أصول الفقه و خلاصة التشريع الإسلامي لعبد الوهاب خلاف ص ١١، ط، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.

الفقهاء وظهور المذاهب الفقهية^(١) من مزايا الحضارة الإسلامية - وهو كذلك-، فيقول في كتابه:

" من الجدير بالذكر أن القانون الإسلامي^(٢) لم يعرف في العصور الوسطى فكرة القطب الواحد أو الفكر الأوحد. فهناك المداس الفقهية العديدة (المالكية والحنبلية والحنفية والشافعية) التي اختلفت في أمور معينة، ولم يدع أحد مؤسسيها أنه معصوم من الخطأ.

(١) "اختلفت الآراء الفقهية، وتكونت من هذا الاختلاف مدارس فقهية، ثم تبلورت المدارس فصارت مذاهب فقهية، ويجب أن نشير هنا إلى أن الاختلاف لم يكن في ذات الدين، ولا في لب الشريعة، ولكنه اختلاف في فهم نصوصها، وفي تطبيق كلياتها على الفروع؛ وكل المختلفين يجمعون على تقديس نصوص القرآن والسنة، بل كانوا من فرط اتباعهم للإسلام لا يسمح أكثرهم بمخالفة أقوال الصحابة لأنهم الذين شاهدوا وعايروا منازل الوحي، ومدارك الرسالة، وتلقوا علم النبوة من النبي عليه وسلم، ونقلوه إلى الأُخلاف، فهو اختلاف لا يتناول الأصل ولكنه اختلاف في الفروع، حيث لا يكون دليل قطعي حاسم للخلاف، ومثل أقوالهم بالنسبة للشريعة كممثل أغصان الشجرة، تنتشعب وتتفرع والأصل الذي اتبعت عنه واحد، يغذي جميع الأغصان المتفرعة.

وأن هذا الاختلاف قد فتح القرائح، فاتجهت إلى تدوين علوم الإسلام مجتهدة متبعة من غير جمود، وتركت من بعد ذلك تركة مثرية من الدراسات الفقهية، لا تكون مغالين، ولا متجاوزين المعقول إذا قلنا إنها أعظم ثروة فقهية في العالم الإنساني، ولعل أعظم ثروة يدعيها الأوروبيون هو القانون الروماني، ولو وزن ما جاء عن الرومان ما عدل عشر معشار ما تركه الفقهاء من عيون الفقه ومسائله، وإنها لتشمل من الحلول الجزئية والقواعد الكلية ما يغني الإنسانية إن بغت الخير لنفسها، واتجهت إلى ما ينفعها ويعلو بها. ينظر تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية للشيوخ محمد أبوزهرة ص ٢٨٨، ط، دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٢) والقوانين الإسلامية نوعان: قوانين سنها الله سبحانه وآيات قرآنية، وألهمها رسوله عليه وسلم وأقره عليها، وهذه تشريع إلهي محض، وقوانين سنها مجتهدو المسلمين من الصحابة وتابعيهم والأئمة المجتهدين استنباطا من نصوص التشريع الإلهي وروحها ومعقولها ومما أرشدت إليه من مصادر، وهذه تعتبر تشريعا إلهيا باعتبار مرجعها ومصدرها، وتعتبر تشريعا وضعيا باعتبار جهود المجتهدين في استمدادها واستنباطها. ينظر علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع لعبد الوهاب خلاف ص

ولا شك في أن تطور هذا الفقه أمر مطلوب بشدة اليوم، خاصة محاولة استعادة سعته ومرونته، حتى يستطيع أن يوفر إجابات عن المشكلات المعاصرة.

يتطابق هذا الأسلوب تماما مع التراث الإسلامي. فعندما بعث الرسول محمد ﷺ بمعاذ بن جبل ليحكم في اليمن، "سأله كيف تقضي؟ فأجاب معاذ: أقضي بكتاب الله، وإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ. وعندما سأله الرسول ﷺ ماذا يفعل إن لم يجد في كليهما، أجابه معاذ: أجتهد رأيي، ولا آلو"^(١). ولقد راققت هذه الإجابة الرسول ﷺ"^(٢)

ويذكر مراد هوفمان في موضع آخر من كتابه أنه "يقبل فقهاء الإسلام سبعة مذاهب فقهية، بالرغم من وجود تنافس موضوعي بينها، وفي ظل اختلافات في التفاصيل.

كما أثرت التعددية علوما كعلوم الدين والفلسفة والتصوف"^(٣). وبذلك يكون مراد هوفمان قد قدم نموذجا حضاريا متعلقا بالفقه والمذاهب الفقهية وهو باب واسع ومجال ثري، كما قدم النموذج الحضاري العلمي الخاص باللغة العربية وعلم الحديث الشريف.

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأفضية باب اجتهاد الرأي في القضاء ٣/٣٠٣، ح ٣٥٩٢، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. والترمذي في سننه أبواب الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ٣/٦٠٨، ح ١٣٢٧، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. والنسائي في السنن الكبرى كتاب القضاء الحكم بما اتفق عليه أهل العلم ٥/٤٠٦ ح ٥٩١١، ط، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. أحمد في مسنده (حديث معاذ بن جبل) ٣٦/٣٣٣، ح ٢٢٠٠٧،

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٥٦.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٦.

المبحث الثالث

بيان مراد هوفمان للفنون المعمارية^(١) في الحضارة الإسلامية

في هذا المبحث يتحدث مراد هوفمان عن جانب من جوانب الحضارة الإسلامية، وهو المتعلق بالعمارة الإسلامية، وقد أجاد - رحمه الله - في وصف هذا الأمر.

أولاً: نراء الحضارة الإسلامية في جانب العمران

ألقى مراد هوفمان الضوء على ذلك بقوله: "لقد قام أمير باسيك الحاصل على جائزة أغاخان للعمارة، والذي يعمل بمعهد الأبحاث للثقافة والتاريخ الإسلامي في إسطنبول في كتابه الفني المدعم بالصور" العمارة الإسلامية في البوسنة والهرسك، الصادر في ١٩٩٤ بإثبات-مستعينا بالوثائق- أن الصرب والكروات قاموا في أثناء حرب البوسنة بهدم أو

(١) المقصود بالفنون الإسلامية أنها: "الفنون التي أنتجها المسلمون تأثراً بعقيدتهم، فصار لها خصائص وسمات شكلية معروفة استمرت كفن قائم بذاته بعيداً عن الجانب الديني، وذلك في الفترة التي يرى المؤرخون أنها تمتد من بداية العصر الأموي (أي منتصف القرن الأول الهجري) حتى نهاية العصر العثماني أي حتى منتصف القرن الثامن عشر تقريباً" العمارة الإسلامية في مصر لعلياء عكاشة ص ٩.

(٢) العمارة الإسلامية: هي إحدى مظاهر الحضارة التي ميزت التاريخ الإسلامي، ولا تزال هذه العمارة إلى الآن شاهدة على عظمة هذه الحضارة وإنسانيتها، ولم تقتصر تلك العمارة على المساجد والمنازل فقط، بل امتدت لتشمل المدارس والأسبلة وحتى القلاع والحصون مما يدل على اهتمام الحضارة الإسلامية بكافة مناحي النشاط الاقتصادي والاجتماعي وأيضاً الحربي، وجمعت العمارة الإسلامية بين مختلف أشكال الفنون الأخرى للدرجة التي اعتبر اليونانيون معها أن العمارة الإسلامية هي أم الفنون. " ويمتد تاريخ العمارة الإسلامية ما بين القرن السابع وبداية القرن التاسع عشر الميلادي" ينظر مقال منشور على شبكة الإنترنت على موقع البيان الإماراتي بعنوان: العمارة الإسلامية أحد مظاهر الحضارة التي ميزت التاريخ الإسلامي بتاريخ ٢٠١١/٤. وينظر العمارة الإسلامية خصائص وآثار لأحمد السراج ص ٦، ط، مكتبة ومطبعة الطالب الجامعي - غزة، بتاريخ ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

إتلاف حوالي ٣٤٩ أثرا إسلاميا من مجمل ٥٩١ أثرا إسلاميا حضاريا في البوسنة
والهرسك^(١).

كما يذكر مراد هوفمان أن: "الدين الإسلامي يتمتع بالقدرة على ترجمة جوانب معينة
من العقيدة إلى مبادئ جمالية. لذا كان من الصحيح أن تثير العمارة الإسلامية في
زخرفتها الخارجية والداخلية رغم تنوعها الكبير شعورا بالمكان ذا طابع إسلامي مميز
يستوعب ملامحه البارزة والدقيقة.

وهو ما يمكن للمرء أن يشهده-على سبيل المثال- في مباني وباحة قصر الحمراء^(٢)
في غرناطة، أو في المساجد المميزة مثل تلك التي توجد في قرطبة^(٣) والقيروان^(٤)

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٦٤.

(٢) هو أعظم وأروع الآثار الأندلسية الباقية، كما أنه يعتب من أبداع الآثار الإسلامية، التي أبقت
عليها حوادث الزمن. وهو يبدو بعقوده، وسقوفه ذات الزخارف البديعة، وأعمدته الرخامية الرشيقة ،
وإناقته المتناهية، من أجمل ما تقع عليه العين من الصروح الأثرية. ويطلق الإسبان على قصر
الحمراء، اسم القصر العربي. ينظرالآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال لمحمد عبدالله عنان
ص ١٩٢، ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) قُرْطُبَةُ: بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا، والباء الموحدة، كلمة فيما أحسب
عجمية رومية، ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد، وهي مدينة
عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن
الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع، وبينها وبين البحر خمسة أيام. ينظرمعجم البلدان لياقوت
الحموي ٣٢٤/٤، ط، دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥ م. وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
للمقدسي ٢٣٣/١، ط، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١.

(٤) القيروان أول مدينة أنشأها المسلمون في إفريقية فصارت عاصمة للغرب الإسلامي الذي يمتد من
طرابلس الغرب شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ووصل إلى حدود فرنسا شمالا ، وهي مركز التقاء
المشرق بالمغرب، ويبلغ عدد مساجدها ١٢٣ مسجدا. ينظر كتاب مساجد القيروان للدكتورة نجوى
عثمان، ط، دار عكرمة - سوريا، ط١، ٢٠٠٠ م.

والقاهرة^(١)، وإسطنبول وخاصة منها مساجد السلিমانيّة، والسُلطان أحمد ورستم باشا،
وسوكولو محمد باشا^(٢)^(٣).

وقد أشار مراد هوفمان إلى الوجود الطويل للإسلام في أوروبا ، وبيان ذلك من خلال
ذكر المعالم المتبقية الدالة على تقدم فن العمارة الإسلامي في كل من صقلية وإسبانيا
والبلقان.

وقد استمرت إسبانيا حوالي ثمانية قرون يحكمها المسلمون، أما الكاثوليك فحكموا
الأندلس منذ عام ١٤٩٢، أي خمسة قرون فقط^(٤). ونخلص مما سبق إلى أن العمارة
الإسلامية من مظاهر الحضارة الإسلامية، وأنها تشير إلى الجذور التاريخية الطويلة
للمسلمين في الأندلس وغيرها من البلاد التي دخلها الإسلام وأسبغ عليها من بهائه
وجماله.

(١) ينظر في وصف هذه المساجد كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون لسعاد ماهر محمد ، ط،
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) ينظر في وصف هذه المساجد موقع ويكيبيديا على شبكة الإنترنت.

(٣) يوميات ألماني مسلم لمراد هوفمان ص ٢٢ ، ٢٣.

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٤٣.

المبحث الرابع

أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية

يشهد التاريخ أن الحضارة الإسلامية أحدثت نقلة كبيرة للحضارة الغربية بما قدمه علماء الإسلام والمسلمون من أمور لم يكن للغرب علم بها سواء أكان هذا في الجانب العلمي أو العملي أو السلوكي، وقد شهد بذلك كثير من علمائهم.

أولاً: بيان مراد هوفمان للأثر العلمي الإسلامي على الحضارة الغربية

لا ريب أن الحضارة الإسلامية قد أثرت على الحضارة الغربية وأفادت بها في كثير من مناحي الحياة العلمية والعملية.

يقول مراد هوفمان: "يستطيع الإسلام أن يثبت بالدليل القاطع مساهمته في تطور الحضارة الأوروبية وما توصلت إليه من إنجازات. فتأثيره أعمق وأبلغ من اليهودية، ويكاد يتساوى مع تأثير الحضارة الإغريقية والهلينية. ونحن لسنا بصدد أن نثبت - مثل زجرید هونكه - أن شمس الله تسطع على الغرب، ولكنني أدعو القارئ الغربي إلى أن يتذكر أن نظام الأرقام الذي استخدمه (بما فيه الرقم صفر) أنجزه عالم رياضيات مسلم. وأن الكثير من علم الطب والفلك والملاحة وأغاني التروبادور، وكذلك معرفته لفلسفة أرسطو إنما يرجع الفضل فيها للمسلمين"^(١). وقد أشار مراد هوفمان لبعض علماء المسلمين الذين كان لهم قصب السبق في كثير من العلوم، والتي اقتبستها الحضارة الغربية لتبدل به ما كانت فيه من ظلام دامس إلى نور مشع.

ثانياً: بيان مراد هوفمان للأثر الحضاري لأهم المدن الإسلامية

يشير مراد هوفمان إلى الأثر الحضاري لأهم المدن الإسلامية فيقول: " لقد تأثر الغرب بالازدهار الثقافي والعلمي للحضارة الإسلامية وإنجازاتها في مراكزها

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٤٦.

المختلفة، سواء في بغداد في العصر العباسي أو قرطبة تحت حكم الأمويين، خاصة عن طريق علماء المسلمين في الأندلس^(١)، مثل ابن رشد، وابن حزم، وابن عربي. ولقد امتد تأثير هذه الحضارة الإسلامية على الغرب إلى مجالات عدة، مثل علم الكلام والفلسفة وشعر الغزل والغناء، وإلى العمارة القوطية، وإلى مجالات الصحة والطب والرياضيات^(٢). وبعد فقد استبان الأثر البالغ للحضارة الإسلامية العلمية على الحضارة الغربية وقد أشار أحمد السراج^(٣) إلى بعض ذلك.

(١) استقر العرب في الأندلس ما يقارب ثمانية قرون بلغت فيها الحضارة العربية الذروة، وكانت هذه الحضارة تشع من حواضر قرطبة وغرناطة وإشبيلية وسرقسطة وطليطلة وغيرها. وكان محبو العلم في أوروبا يهرعون إلى مراكز الحضارة الأندلسية ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع، والإطلاع على كتب العرب فيها. ينظر تاريخ العرب في الأندلس د خليل إبراهيم السامرائي - د عبد الواحد ذنون طه - د ناطق صالح مصلوب ص ٤٧٦، ط: دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م (٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٤٩.

(٣) حيث يتجلى في اقتباس الصليبيين الحصون وأساليب بنائها من الشام خاصة الأبراج والممرات الداخلية الملثوية والمزاغل، وفي صقلية أقام النورمان عمائرهم متأثرين بالعمارة الإسلامية بأعمدتها وأقواسها ومقرنصاتها، وتبدو أبراج النواقيس في جنوب إيطاليا في عصر النهضة مقتبسة من المآذن المغربية، كما اقتبس الطليان أسلوب التبادل اللوني الطبقي للعمائر المملوكية بين طبقة بحارة قاتمة وأخرى زاهية (التشهير) ونفذوها في الواجهات الرخامية في بيزا وفلورنسا وجنوا ومسينا، وفي جنوب فرنسا استخدمت العقود المفصصة والملونة والزخارف المشتقة من الكتابة العربية والزخارف المحفورة والمساند الخشبية، كما استخدمت المقرنصات والأرابيسك ووريفات الشجر الثلاثية في بولندا (بولونيا) حيث تظهر في كنيسة لفوف عام ١٣٧٠م، وفي إنكلترا اقتبسوا الأرابيسك وزخرفوا به عمائرهم، وقد الإيرلنديون الكتابة الكوفية ويبدو ذلك في صليب كتب عليه (باسم الله) دون إدراك منهم للمعنى وهو محفوظ في المتحف البريطاني، وأخذ الإيطاليون أسرار صناعة النسيج الإسلامية عبر تتلمذهم على يد صناعها في جنوب إيطاليا وصقلية ويبدو ذلك في عباءة التتويج لروجر ملك صقلية في عام ١١٣٤م كما قلدوا السجاد محفظين بزخارفه العربية لقرون" العمارة الإسلامية خصائص وآثار لأحمد السراج ص ٢٥، ٢٦، ط، مكتبة ومطبعة الطالب الجامعي - غزة، بتاريخ ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه
الإسلام في الألفية الثالثة".

وقد قدم مراد هوفمان صورة جيدة لبعض العلوم الإسلامية كاللغة العربية والحديث
والفقه، وبيان أن الأمة الإسلامية قد تفردت بعلم الرجال فلا يوجد له نظير عند الأمم
الأخرى.

وقد ألقى مراد هوفمان الضوء على بعض علماء المسلمين وإسهاماتهم في الحضارة
الإنسانية، الأمر الذي انتفع به الغرب كثيرا، وشهد به المنصفون من علمائهم.

الفصل الثالث

جهود مراد هوفمان في إبراز البعد الاجتماعي في الحضارة الإسلامية

قدم المسلمون للعالم نموذجا حضاريا رفيعا، تمثل في قيمهم الأخلاقية السامية، سواء أكان ذلك في الأسرة الواحدة أو المجتمع بصفة عامة، وقد أسهمت الحضارة الإسلامية في بناء الإنسان بما كفلته له من حقوق، لم يعرفها الغرب إلا حديثا وعلى الورق فقط، كما تمثل النموذج الحضاري الإسلامي في معاملة غير المسلمين الذين جاورهم معاملة طيبة راقية، ويتمثل هذا النموذج أيضا في صون المرأة والحفاظ عليها.

المبحث الأول

القيم الحضارية في المجتمع المسلم

تتمثل القيم الحضارية في المجتمع المسلم في محيط الأسرة، وبين أفراد المجتمع الذين يسود بينهم الإخاء والتعاون.

أولا: الأسرة في الإسلام

يأتي الترابط الأسري في الإسلام من خلال أنه يأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما، ومن خلال أمره الآباء بالإحسان إلى الأبناء من خلال رعايتهم وحسن تربيتهم، ثم إنه يأمر بصلة الأرحام^(١)، فلا غرو أن نجد هذا الترابط الأسري في المجتمع الإسلامي، وهو مظهر حضاري يدل على سمو الإسلام وعظمته.

(١) يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" النساء- الآية ١. أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها. ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٥، ط، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م. وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته" يقول ابن حجر العسقلاني: فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته وإذا كان كذلك فجار الله غير مخذول. ينظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٠/١٨٤، ط، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

يتحدث مراد هوفمان عن هذا الترابط فيقول: "أما في الأسرة المسلمة، فيعيش الجميع معاً، يأكلون سوياً، يصلون معاً، يحتفلون مجتمعين، يحزنون معاً، ويعايش بعضهم البعض حتى في الوفاة، ويتم كل هذا دون ممارسة أي ضغوط من أي فرد من أفراد العائلة.

ولا تغفل طبيعة العائلة المذكورة عن الضيافة ومظاهرها، خاصة أن الإسلام يدعو إلى إيواء الضيف وإكرامه لمدة ثلاثة أيام بحد أدنى"^(١)

ويشير مراد هوفمان إلى بعض القيم الإسلامية الحضارية في المجتمع الإسلامي فيقول: "يمثل الإحساس بالعائلة وكرم الضيافة الخلفية للدفع الإنساني والاستعداد التام لمساعدة المحتاج، التي تشع من المجتمعات الإسلامية: شعور الإخاء الذي يسود بين أبناء الأمة"^(٢).

كما يبين مراد هوفمان أن الأسرة المنحابة المترابطة تنطلق من خلال النصوص الشرعية مثل: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"^(٣)، وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ"^(٤)، إلزمها (الأم) فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِهَا"^(٥) من أحق الناس بصحبتك: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك"^(٦)

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٢٨.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٢٩.

(٣) الإسراء- الآية ٢٣.

(٤) سورة لقمان- الآية ١٤.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٤/٢٩٩، ح ١٥٥٣٨، والحاكم في المستدرک ٢/١١٤، ح ٢٥٠٢، وعبدالرزاق في مصنفه ٥/١٧٦، ح ٩٢٩٠، ط، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣.

(٦) خواء الذات والأدمغة المستعمرة مراد هوفمان ص ١٠٢، ط، مكتبة الشروق الدولية، ترجمة عادل المعلم، ونشأت جعفر، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

كما يشير مراد هوفمان إلى بعض القيم الخلقية التي من شأنها أن ترتقي بالمجتمع الإسلامي فيقول: "يأمر القرآن بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، والحكم بين الناس بالحق، وأداء الأمانات إلى أهلها، وما إلى ذلك من أوامر قرآنية وأحاديث نبوية، تبني مجتمع التكافل، وتمنع الغش والاحتكار"^(١).

ويتحدث مراد هوفمان عن قيمة حضارية تميز المجتمع المسلم تتعلق بـ "العدل والتضامن الاجتماعي: بديلا للفردية المتطرفة" ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢) ﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٣) ﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

لا يبيت أحدكم شعبانا وجاره جائع"^(٥) " خير الناس خيرهم للناس"^(٦)^(٧)

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٨٦.

(٢) سورة المائدة- الآية ٢.

(٣) سورة النساء- الآية ٥٨.

(٤) سورة النحل- الآية ٩٠.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس بلفظ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ»

٥٢/١، ح ١١٢، ط، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩.

والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٩/١، ح ٧٥١، ط، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة:

الثانية. والحاكم في المستدرک ١٥/٢، ط، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ -

١٩٩٠. والبيهقي في السنن الكبرى ٥/١٠، ح ١٩٦٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣،

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٦) مسند الشهاب للقضاعى ٢/٢٢٣، ح ١٢٣٤، بلفظ: « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ »، ط، مؤسسة

الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦، والطبراني في المعجم

الأوسط ٥٨/٦، ح ٥٧٨٧، ط، دار الحرمين - القاهرة.

(٧) خواء الذات والأدمغة المستعمرة مراد هوفمان ص ١٠٢.

كما يذكر مراد هوفمان صورة من صور التكافل وبذل المال في المجتمع الإسلامي فيقول: "فعندما يجتمع المسلمون على عشاء بهدف جمع تبرعات، سرعان ما يتبرع الحاضرون بمبالغ تصل إلى ١٠٠ ألف دولار، وذلك من عدد محدود جدا من الحضور، ولقد رأيت بنفسني تبرعات تصل إلى ربع مليون دولار"^(١). وبذلك يكون مراد هوفمان قد قدم لنا صورة حضارية رائعة تتمثل في الترابط والتآلف الذي يجمع أفراد المجتمع المسلم، كما يشير إلى التعاون والتكاتف في المجتمع المسلم، الأمر الذي نتج عن اتباع التعاليم القرآنية والأحاديث النبوية.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٧٤.

المبحث الثاني

حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب

جاء الإسلام ليعطي شأن الإنسان، وأثبت له حقوقا لا نظير لها في غيره من الأديان، وهي كثيرة يضيق المقام عن الاستطراد في ذكرها، وقد ألفت عدة كتب^(١) في هذا الشأن أحيل إليها في الهامش.

أولا: بيان مراد هوفمان لحقوق الإنسان في الإسلام

يقول مراد هوفمان: "حرمة النفس الإنسانية، وحرمة المال، وحرمة الاعتقاد، كلها أمور مقررة ومستقرة في الشريعة الإسلامية، استنادا إلى آيات قرآنية وأحاديث نبوية، والمقاصد الرئيسية للإسلام هي حماية النفس، والدين، والعقل، والمال، والنسل"^(٢). كذلك أكد الإسلام المساواة بين الناس، وذلك لم يعرفه الغرب نظريا إلا من قرن أو قرنين"^(٣).

ثانيا: بيان مراد هوفمان للجانب الحضاري الإسلامي في معاملة الرقيق

يقول مراد هوفمان: "فقد أمرت الشريعة بحسن معاملة العبيد كإخوة، وعملت على تحرير العبيد بأساليب عديدة، وأمرت بتحرير كل من يطلب ذلك وأمرت أصحاب العبيد والمجتمع بمساعدتهم على ذلك.

-
- (١) ينظر على سبيل المثال: حقوق الإنسان في الإسلام، المؤلف: طاهر أحمد مولانا جمل الليل. حقوق الإنسان والقضايا الكبرى للدكتور كامل إسماعيل الشريف (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي. حقوق الإنسان في الإسلام، لعبد الفتاح بن سليمان عشاوي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية، لمحمد كمال الدين بن محمد العزيز جعيط، الناشر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
- (٢) يقول الإمام الشاطبي: ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. ينظر الموافقات للشاطبي ٢/٢٠، ط، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
- (٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٧٣.

وأهم من كل ذلك أن الشريعة أغلقت الباب تماما في وجه المصدر الرئيس لاسترقاق البشر، وهي الحروب، إذ جاء في سورة محمد: ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ فالحكم في أسرى الحرب أصبح إما المن عليهم بحريتهم، أو طلب فدية لتحرير أولئك الأسرى من المحاربين. ولذلك لا جناح علي أي دولة إسلامية في الموافقة على قوانين تحرم العبودية^(١). وقد أحسن مراد هوفمان في تجلية تلك الصورة الحضارية الإسلامية الرامية إلى القضاء على الرق والعبودية، وهذا مستفاد من التراث الإسلامي بما حواه من حديث وتفسير وفقه وغير ذلك.

ثالثا: حقوق الإنسان عند الغرب

يقول مراد هوفمان: " قد تسمى القرن العشرون بقرن اللاجئين والمشردين. ألا يجرننا كل هذا- من منطلق المسؤولية الأخلاقية- إلى الحديث عن إبادة الهنود الحمر في القرون السادس عشر إلى التاسع عشر، وأحوال العبيد من الزوج في الولايات المتحدة وصولا إلى الحرب الأهلية هناك في منتصف القرن التاسع عشر"^(٢)

كما يقول مراد هوفمان: "ولقد أثبت الغرب-سواء في الاتحاد السوفيتي سابقا أو الولايات المتحدة- أن حقوق الإنسان ما هي إلا الورقة التي تضمنت هذه الحقوق، وليس المرء في حاجة إلى أن يسأل أفراد جماعة الكوكلوكس كلان^(٣) المتطرفة عن ذلك،

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٧٥.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٣٧.

(٣) كو كلوكس كلان (بالإنجليزية: Ku Klux Klan) واختصارا تدعى أيضا KKK، هو اسم يطلق على عدد من المنظمات الأخوية في الولايات المتحدة الأمريكية منها القديم ومنها من لا يزال يعمل حتى اليوم. تعتمد هذه المنظمات عموما لاستخدام العنف والإرهاب وممارسات تعذيبية كالحرق على الصليب لاضطهاد من يكرهونهم مثل الأمريكيين الأفارقة وغيرهم. انظر موقع ويكيبيديا على شبكة الإنترنت.

جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه
الإسلام في الألفية الثالثة".

بل يكفيه النظر إلى أحوال السود والهنود الحمر في أمريكا^(١)^(٢). ومن باب وبضدها
تتميز الأشياء يشير مراد هوفمان إلى الوضع المأساوي لبعض الشعوب التي وقعت تحت
قبضة أصحاب الحضارة الغربية، حيث ساموهم سوء العذاب، وحرموهم من أدنى
حقوقهم.

- (١) ينظر في تلك الفظائع التي ارتكبت ضد الهنود الحمر كتاب: إبادة الهنود الحمر أسوأ كارثة سكانية
في التاريخ البشري د/ ناصر محيي الدين ملوحي، ط، دار الغسق للنشر، بتاريخ ١٤٣٩ هـ -
٢٠١٨ م.
- (٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٧٣.

المبحث الثالث

حماية الأقليات الدينية

يشهد التاريخ الإنساني بأنه لم يعرف أرحم من المسلمين، يقول غوستاف لوبون:
"فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل
دينهم"^(١)، فقد عاملوا الأقليات التي تعيش تحت سلطانهم معاملة إنسانية حضارية،
وكتب فقهاء المسلمين في بيان ما لهم من حقوق، حتى شهد غير المسلمين بذلك^(٢)،
والكتب المؤلفة في هذا الباب كثيرة، بينما يعامل المسلمون في البلاد التي يحكمها غير
المسلمين^(٣) معاملة قاسية ظالمة.

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص ٦٣٠، ط، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ترجمة عادل
زعيتر.

(٢) فمن ذلك ما كتبه نصارى الشام في صدر الإسلام حيث كتب النصارى في الشام سنة ١٣هـ إلى
أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقولون: "يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن
كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا". واستمر هذا النهج
في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام. 2- ففي الوقت الحاضر يعيش طوائف عديدة من
النصارى في بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب العربي وهي شاهد على سماحة الإسلام. ينظر كتاب
"سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين" المؤلف: د. عبد الله بن إبراهيم اللحيان ص ٣٣،
الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

يقول: توماس أرنولد: . إن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد
على هذا التسامح "الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص ٧٠، ط، مكتبة النهضة، مصر، ط ٣،
١٩٧٠م.

(٣) ينظر في أشكال الظلم الذي تتعرض له الأقليات المسلمة كتاب الأقليات المسلمة في أوروبا، د/
مصطفى محمد رمضان، د/ إلهام محمد علي، إصدار لجنة القدس والأقليات الإسلامية- مجمع
البحوث الإسلامية، بتاريخ ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

يقول مراد هوفمان: "لقد استطاعت علوم القانون الإسلامية إعداد قوانين لحماية الأقليات الدينية على أساس هذه القاعدة الفقهية المتينة، وذلك منذ زمن بعيد: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"^(١).

تمتعت الأقليات الدينية بحكم ذاتي في أمورها الدينية. ولقد استطاع المسيحيون في ظل هذا القانون أن يقوموا بتربية الخنازير وأن يتاجروا في الخمر. واستطاع اليهود أن يقوموا بالتعامل بالريا في المسائل المالية. وفي الوقت نفسه، تمتع أهل الذمة بالحماية التي تكفلها الدولة للنفس وللجسد وللحياة والملكية وحماية الأداء العلني للعبادات وممارسة الشعائر الدينية، وتمتعت في ظل هذا القانون الكنائس والمعابد بنفس الحماية التي تكفلها الدولة للمساجد، بلا أي تفرقة، كما وعد(سيدنا) محمد ﷺ عام ٦٣١، جماعة من مسيحي نجران عندما بعث إليهم بواحد من خيرة رجاله، هو أبو عبدة.

لقد اختلفت معاملة الذميين عن المسلمين في ثلاث نقاط فقط هي:

١- لم يفرض عليهم واجب الانضمام للقوات المحاربة (الخدمة العسكرية حديثاً).

٢- في مقابل هذا كانوا يدفعون الجزية، وهي ضريبة الحماية.

ولقد كانت الدولة الإسلامية ترد هذه الجزية إلى أهل الذمة في حالة ضعف الدولة وحين لا تتمكن من أداء واجبها في حمايتهم.

٣- شارك أهل الذمة في الإدارة العامة للدولة وفي اتخاذ القرارات، منذ قيام دولة المدينة (عام ٦٢٢)^(٢).

كما يقول مراد هوفمان: "ولم يواجه المسيحيون ولا اليهود عمليات قتل أو طرد أو سلب أموال في العالم الإسلامي، كما واجه اليهود في أوروبا، وكما واجه اليهود والمسلمون في

(١) خاتم النبيين ﷺ، تأليف: الشيخ محمد أبو زهرة ٣/ ٨٧٤، ط: دار الفكر العربي - القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٨٥.

الأندلس، بل ولم يحارب المسلمون المسيحيين ولا اليهود^(١) الذين عاشوا بينهم كما
تقاتل البروتستانت والكاثوليك في أوروبا^(٢).

ثم يبين مراد هوفمان أن الإسلام أعطى حقوقاً للأقليات تفوق تلك القوانين التي
سنها الغرب، فيقول: " ولكن يظل قانون حماية الأقليات الغربي الحديث أضيق بكثير،
وأقل كرماً بكثير مما يمنحه الحق الإسلامي للأقليات الدينية، وذلك منذ ١٤٠٠ عام^(٣).
ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول: إن حماية الأقليات في بلاد المسلمين، وعدم
اضطهادهم، أمر تزهو به الحضارة الإسلامية على مثيلتها الغربية، وهو أمر نتج من
خلال اتباع ما جاء به ديننا الحنيف من أخلاق كريمة.

(١) تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: " العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في
الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني
وأفظعها سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم وترك المسلمون لهم بيوت
عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسه بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين
روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي
الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهاد اليهود. إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزوجوا أنفسهم
في شؤون تلك الشعوب الداخلية. فبطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريك
القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف"
ينظر كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه ص ٣٦٤، دار صادر، بيروت ترجمة
فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط ١٠، ١٤٢٣هـ.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٨٥.

(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٨٦.

المبحث الرابع

المرأة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

لم تجد المرأة معاملة كريمة كنتلك التي وجدتها في الإسلام، فوضع المرأة عند الأمم والحضارات الأخرى وضع متدن، بينما صانها الإسلام وحفظها وكرمها أما وبناتنا وزوجة وأختنا.

أولاً: بيان مراد هوفمان لمساواة المرأة للرجل في المسؤولية والجزاء

تتساوى المرأة مع الرجل في الدعوة إلى العمل الصالح، وفي الجزاء المترتب عليه، وقد أعطى الإسلام للمرأة ما لم تحصل عليه في الحضارات الأخرى. يقول غوستاف لوبون: " والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعا عظيما. والقرآن قد منح المرأة حقوقا إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوروبية"^(١).

وقد ألقى مراد هوفمان الضوء على تلك المساواة قائلاً: "ولذلك، فليس مدعاة للدهشة، بل هو أمر مفروغ منه ألا تختلف المرأة المسلمة في وضعها الديني الروحي عن الرجل، فعليها كافة الفروض من صلاة وصيام وأداء الزكاة والحج. ويعبر القرآن عن هذا بشكل مؤثر وبلوغ بأن يخص كلا من الرجال والنساء بالذكر منفردا فتد في سورة الأحزاب:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢)، وجاء في سورة النحل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٤١٤.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٣٥.

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾^(١) فهذه الآية الكريمة فيها تأكيد على دخول الأنثى في هذا الوعد الإلهي كما ذكر بعض المفسرين^(٢). وهذا يؤكد أن المرأة في الإسلام من حيث الوعد بالجنة والحياة الطيبة إن هي أحسنت العمل كالرجل تماما.

ثانيا: مكانة المرأة بين الإسلام والغرب

لما أشرقت شمس الإسلام على العالمين، بدأ عهد جديد لوضع المرأة، وأول ذلك أن أبطل عادة وأد البنات، وقد أشار مراد هوفمان إلى هذا الأمر واصفا مكانة المرأة في العصر الجاهلي فيقول: "كان وأد البنات حديثي الولادة في بلاد العرب قبل الإسلام لظروف اقتصادية صعبة، أو خوفا من العار، قبل أن ينهي القرآن عن هذه الجريمة المشينة"^(٤).

أولا: مكانة المرأة في الإسلام

يصف مراد هوفمان هذه المكانة فيقول: "وتأكيدا لاحترام القرآن للمرأة، فإنه يذكر أمثلة ونماذج إيجابية للمرأة مثل: ملكة سبأ، وأم موسى، وزوجة فرعون، ومريم وأنها. أما علاقة الزواج بين الرجل والمرأة، فيتم وصفها في القرآن وفق المعايير الحديثة-

(١) سورة النحل - الآية ٩٧.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٩٨.

(٣) يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: من تناول في نفسه للذكر والأنثى، فما معنى تبيينه بهما؟ قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور، فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين، ليعم الموعد النوعين جميعاً. انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٢/٦٣٣، ط، دار الكتاب العربي - بيروت ط ٣ - ١٤٠٧ هـ.

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: قوله سبحانه من ذكر أو أنثى مع أن لفظ «من» في قوله: من عمل يتناول الذكور والإناث للتنصيص على النوعين، حتى يكون أعبط لهما، ولدفع ما قد يتوهم من أن الخطاب للذكور وحدهم. التفسير الوسيط ٨/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٢١.

بشكل إيجابي. يقول الله عزوجل: **قَالَ تَعَالَى: ﴿أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾** ^(١) **قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾** ^(٢).

وبالفعل فالمؤمنون والمؤمنات يعتمد بعضهم على بعض كما ورد في قوله تعالى:
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ^(٣) ^(٤).

والإسلام يحفظ للمرأة كرامتها من خلال أمره لها باللباس الشرعي يقول مراد هوفمان
بأنها: "ترتدي ملابس محتشمة تقيها شر الدخول في منافسة للعري مع بقية النساء،
وخاصة مع المرأة الغربية، ولذلك فقد نجحت المسلمة في العالم الإسلامي في أن تحفظ
نفسها ولا تقع فريسة للاستغلال كسلعة جنسية في الدعاية أو مكان العمل.

ويتغاضى الغرب عن حقيقة دور المرأة الرئيس وأهميتها في البيت المسلم؛ خاصة
كأم، فهي تمارس سلطة هائلة على أبنائها، أكثر مما يبدو أو يتوقع أحد في الغرب" ^(٥).
ولا غرو فالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة قد حثت على إكرام المرأة
والإحسان إليها، وقد حفظ التاريخ الإسلامي كثيرا من النساء اللاتي أسهمن بنصيب وافر
في العلوم الشرعية والعلوم العملية.

ثانيا: المرأة في الحضارة الغربية وأثر ذلك في اعتناقها للإسلام

يتحدث مراد هوفمان عن المرأة في الغرب فيقول بأنها: "لا تزال تتعرض لأنواع شتى
من الاستغلال، حتى لأغراض دعائية وإعلانية، وفي ظل هذا المناخ، فإن الكثيرات من
النساء قد تيقن أن وضع المرأة في الإسلام وتحريم الإسلام للمرأة لهو أنسب مما يقدمه

(١) سورة الروم - الآية ٢١

(٢) سورة البقرة - الآية ١٨٧.

(٣) سورة التوبة - الآية ٧١.

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٩٧، ٩٨.

(٥) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٥.

الغرب، ولذلك تختار كثيرات من النساء-بحريتهن- ارتداء غطاء الرأس، والالتزام بالزي الإسلامي ليكتسبن وقارا وكرامة واحتراما كن قد فقدناها في خضم التنافس على العري العلني"^(١).

وفي موضع آخر يقول مراد هوفمان: " لقد اتخذت حركة تحرير المرأة في الغرب حماية المرأة والدفاع عن حقوقها هدفا رئيساً لها، ولكن المرأة المسلمة تفوقت فيما حققتة من نجاح على مثيلتها الغربية، وهذا ما يدفع النساء في الغرب إلى اعتناق الإسلام، حتى إن عدد النساء اللاتي يعتنقن الإسلام في الغرب يفوق عدد الرجال، رغم كل الدعاية المضادة"^(٢). ولا عجب فقد وجدت المرأة في ظل الإسلام كرامة وصونا، فهي في ظل مبادئه درة مصونة وجوهرة مكنونة.

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ص ١٦٦.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٣٥.

المبحث الخامس

الشورى في الإسلام

"الشورى في اللغة: (شاوره) في الأمر مشاوره وشورا طلب رأيه فيه وفي التنزيل العزيز {وشاورهم في الأمر}. (الشورى) التشاور وفي التنزيل العزيز {وأمرهم شورى بينهم} والأمر الذي يتشاور فيه"^(١).

الشورى في الاصطلاح: يقول الدكتور محمد عمارة: الشورى في الفكر السياسي الإسلامي، هي فلسفة نظام الحكم والاجتماع والأسرة؛ لأنها تعني إدارة أمر الاجتماع الإنساني الخاص والعام بواسطة الانتماء المشترك والجماعي"^(٢).

يقول مراد هوفمان:

"لا ينكر أي مسلم في يومنا هذا وجوب الأخذ بالشورى، لقد أمرت الآية ١٥٩ من سورة آل عمران^(٣) الرسول أن يشاور المؤمنين في الأمر، والآية ٣٨ من سورة الشورى^(٤) أمرت المؤمنين كافة بالشورى. وهناك من السنة ما يؤيد هذا، فلقد أخذ(سيدنا) محمد ﷺ بمبدأ الشورى في الأمور غير الدينية، وكان يستجيب لرأي الغالبية، حتى وإن خالفت رأيه. فقد اتبع رأي الحباب بن المنذر^(٥) قبل موقعة بدر ٦٢٤ بجعل مواقع المسلمين قبل آبار المياه وليس بعدها.

(١) المعجم الوسيط ٩٩/١

(٢) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام د/ محمد عمارة ص ١١٨، ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(٤) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦٢﴾

(٥) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٢٠، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢،

١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي ٣/٣٥، ط، دار الكتب العلمية -

بيروت، ط١ - ١٤٠٥ هـ.

ولقد استجاب لرأي سلمان الفارسي^(١) بحفر خندق حول المدينة في المعركة التي حملت هذا الاسم معركة الخندق عام ٦٢٧م، وهو عمل غير مسبوق في وقتها^(٢).

يقول الدكتور محمد أبوشهبة عقب حديثه عن أخذ النبي ﷺ لرأي الحباب: "وقد دلل النبي بهذا على تأصل روح الشورى في نفسه الشريفة فيما لم ينزل فيه وحي، وأنه على جلالة قدره، ووفور عقله، ويعد نظره لا يستبد برأيه، ولا يأنف من الرجوع إلى الحق، كما هو شأن الكثيرين من القادة والزعماء والسياسيين، فإن الواحد منهم قد يؤدي بأمة في سبيل التشبث برأي قد يكون خطأ، وما ذلك إلا لأنه نبي يتبع ما يؤمر به"^(٣).

ويتحدث مراد هوفمان في موضع آخر فيقول إن هناك "شخصيات عملت على إرساء قواعد التعامل الديمقراطي (جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧)، ومحمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥)، وعبدالرحمن الكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢)، ورشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥)، ومالك بن نبي (١٩٠٥ - ١٩٧٣)، ومحمد أسد (١٩٠٠ - ١٩٩٢)، وفتحي عثمان، وحسن الترابي، وراشد الغنوشي، وجيفري لانج أستاذ الرياضيات الأمريكي المسلم في ولاية كنساس"^(٤).

بيد أن استبدال مراد هوفمان الديمقراطية بالشورى في الموضوع السابق لا يسلم له بالكلية، فالديمقراطية كما يذكر الدكتور محمد عمارة^(٥) نظام سياسي اجتماعي غربي النشأة، وهي خبرة غنية وثررة إنسانية لا ندعو الحقيقة إذا قلنا إنها تطوير لما عرفته حضارتنا الإسلامية مبكراً.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٢٤. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد لمحمد بن يوسف الصالحى ٤/١٠، ط، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٨٧.

(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة للشيخ محمد محمد أبوشهبة ٢/١٣٤، ط، دار القلم - دمشق، ط ١٤٢٧ هـ.

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ص ٩١.

(٥) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام د/ محمد عمارة ص ١٢٣، ١٢٤.

لكن بالنسبة للديمقراطية فإن السيادة في التشريع هي للإنسان، أما الشورى في الإسلام فإن السيادة في التشريع هي لله سبحانه وتعالى.

أي أن الشورى تكون في الأمور التي تقبل الاجتهاد، أما الأمور المنصوص عليها فلا اجتهاد مع النص، غاية الأمر أننا نجتهد في الفهم والاستنباط، وما تجود به قرائحنا بعد ذلك فإننا نتشاور بأي الآراء نأخذ.

والخلاصة: أن الجانب الاجتماعي في الحضارة الإسلامية يتبين من خلال عدة أمور أبرزها: الترابط الأسري والإخاء الإسلامي، وحفظ الإسلام لحقوق الإنسان والأقليات غير المسلمة، وفي صون كرامة المرأة، وفي جعل الشورى مبدأ أساسيا.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فبعد تطوافي مع هذا البحث ومعايشتي له، أستطيع - بتوفيق الله تعالى- أن أبرز أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: بين مراد هوفمان الجانب الحضاري الديني، من خلال بيانه التسامح الديني في الإسلام، والتعايش السلمي مع أصحاب الديانات الأخرى، كما بين أن الإسلام يرفض العنصرية ويمقتها.

ثانياً: أسهم مراد هوفمان في إبراز الجانب العلمي المضيء في الحضارة الإسلامية من خلال عرضه لبعض من العلوم الإسلامية، وإشارته إلى بعض علماء الإسلام في كافة المجالات.

ثالثاً: أبرز مراد هوفمان البعد الاجتماعي في الحضارة الإسلامية من خلال بيان أن الإسلام راعى حقوق الإنسان، ورفع قدر المرأة، وأنه حفظ للأقليات التي جاورته حقوقها، حتى شهد بذلك غير المسلمين.

رابعاً: استطاع مراد هوفمان توصيف ما في الحضارة الإسلامية من مزايا ومحاسن، وما في الحضارة الغربية من عيوب ومساوئ، فأتى كلامه مصيباً المحرز؛ فهو كلام خبير عاش في الشرق كما عاش في الغرب.

خامساً: أبرز مراد هوفمان كثيراً مما حواه تراثنا العربي والإسلامي في جانب العقيدة والعلم والعمران من محاسن.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم:

- ٢- التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ، ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، ط، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- ٣- زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة، ط، دار الفكر العربي.
- ٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ط، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

ثانياً: كتب الحديث الشريف وعلومه:

- ٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لألزرقي ، ط، دار الأندلس للنشر - بيروت.
- ٦- بلوغ الآمال من مصطلح الحديث والرجال لشيخنا الدكتور محمد محمود أحمد بكار، ط، دار السلام، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٧- البحر الزخار للبخاري، ط، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٨٨ م.
- ٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، ط، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- ٩- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط: دار الرسالة العالمية.
- ١٠- سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، ط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ١١- السنن الكبرى للنسائي، ط، مؤسسة الرسالة - بيروت

- ١٢- السنن الكبرى للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١٣- علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع لمحمد بن مطر الزهراني، ط، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م
- ١٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد أشرف العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ .
- ١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة - بيروت.
- ١٦- الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الطيبي، ط، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، ط: دار لفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ١٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ط: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٩- مسند الشهاب للقضاعي، ط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.
- ٢٠- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم ط، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- ٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).
- ٢٢- المصنف لعبدالرزاق الصنعاني، ط، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣.

٢٣- المعجم الأوسط للطبراني، ط، دار الحرمين - القاهرة.

٢٤- المعجم الكبير للطبراني، ط، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

ثالثا: كتب السيرة والتاريخ والتراجم:

٢٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ط، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة
الثالثة، ١٤١١/١٩٩١.

٢٦- بهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمائيل ليحيى بن
أبي بكر العامري الحرصي (المتوفى: ٨٩٣هـ) ط: دار صادر - بيروت.

٢٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، ط، دار الكتاب العربي، بيروت،
ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٨- تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري، ط، دار التراث - بيروت، ط٢ - ١٣٨٧
هـ.

٢٩- تاريخ العرب في الأندلس د خليل إبراهيم السامرائي - د عبد الواحد ذنون طه - د
ناطق صالح مصلوب، ط: دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.

٣٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي، ط، دار الكتب العلمية -
بيروت، ط١ - ١٤٠٥ هـ.

٣١- دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبدالله عنان، ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤،
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٢- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله
وأحواله في المبدأ والمعاد لمحمد بن يوسف الصالحي، ط، دار الكتب العلمية
بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٣٣- السيرة النبوية لابن هشام، ط، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

٣٤- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة للشيخ محمد أبو شهبه ، ط، دار
القلم - دمشق، ط٨ ، ١٤٢٧ هـ.

٣٥- الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ط، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١،
١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

٣٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد
اليافعي ، ط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٧- معجم البلدان لياقوت الحموي ، ط، دار صادر، بيروت

٣٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، ط، وزارة الثقافة والإرشاد
القومي، دار الكتب، مصر

رابعاً: كتب الفقه وأصوله:

٣٩- أحكام أهل الذمة لابن القيم ، ط، رمادي للنشر - الدمام، ط١، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

٤٠- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الأصفهاني، ط، دار
المدني، السعودية، ط١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

٤١- علم أصول الفقه وخصائص التشريع الإسلامي لعبد الوهاب خالف، ط، دار الفكر
العربي- القاهرة، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

٤٢- الموافقات للشاطبي ، ط، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

٤٣- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول لأبي محمد جمال الدين الإسني، ط، دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

خامساً: كتب اللغة والمعاجم:

٤٤- تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، ط: دار
الهداية.

٤٥- التعريفات للجرجاني، ط، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م.

- ٤٦- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للحميري، ط، دار الفكر المعاصر - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٤٧- لسان العرب لابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- ٤٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤٩- المعجم الوسيط، إصدار: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: دار الدعوة.
- سادسا: كتب عامة:**
- ٥٠- إبادة الهنود الحمر أسوأ كارثة سكانية في التاريخ البشري د/ ناصر محيي الدين ملوحي، ط، دار الغسق للنشر، بتاريخ ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
- ٥١- أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين د/ محمد حسين محاسنة، ط، دار الكتاب الجامعي - الإمارات، ط١، ٢٠٠٠ م.
- ٥٢- أهل الذمة في الإسلام تأليف اس.ترتون ، ترجمة حسن حبشي، ط، دار الفكر العربي.
- ٥٣- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال لمحمد عبدالله عنان ، ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٤- الإسلام والمسلمون في أمريكا لجين سميث ، ترجمة محمد الخولي، إصدار المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٥ م.
- ٥٥- الإسلام في الألفية الثالثة لمراد هوفمان، ط، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، ترجمة عادل المعلم، ط٣، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١١ م.
- ٥٦- الإسلام كبديل مراد هوفمان ، ترجمة عادل المعلم، ط، دار الشروق، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- ٥٧- الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية، لمحمد كمال الدين بن محمد العزيز جعيط، الناشر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
- ٥٨- الأقليات المسلمة في أوروبا، د/ مصطفى محمد رمضان، د/ إلهام محمد علي، إصدار لجنة القدس والأقليات الإسلامية- مجمع البحوث الإسلامية، بتاريخ ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ٥٩- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية للشيخ محمد أبو زهرة، ط، دار الفكر العربي بالقاهرة.
- ٦٠- التراث والمعاصرة لأكرم ضياء العمري ، سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر، ط١، شعبان ١٤٠٥ هـ.
- ٦١- جاذبية الإسلام (لماذا أسلم هؤلاء) د/أحمد عبدالرحمن، ط، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٦٢- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام للدكتور صالح بن حسين العابد، ط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٤، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٦٣- حقوق الإنسان في الإسلام، المؤلف: طاهر أحمد مولانا جمل الليل. حقوق الإنسان والقضايا الكبرى للدكتور كامل إسماعيل الشريف (المتوفى: ١٤٢٩ هـ)، الناشر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
- ٦٤- حقوق الإنسان في الإسلام، لعبد الفتاح بن سليمان عشموي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٦٥- حضارة الإسلام وحضارة الغرب والسلام المفقود للأمام الأکبر.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، ط، دار القدس العربي بالقاهرة، ط١، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- ٦٦- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ترجمة عادل زعيتر.

- ٦٧- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، تأليف: الشيخ محمد أبوزهرة، ط: دار الفكر العربي - القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ.
- ٦٨- خواء الذات والأدمغة المستعمرة مراد هوفمان، ط، مكتبة الشروق الدولية، ترجمة عادل المعلم، ونشأت جعفر، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٦٩- الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم لمايكل هارت، ترجمة أنيس منصور، ط، المكتب المصري الحديث.
- ٧٠- الدين والحضارة د/ محمود حمدي زقزوق ، ط، مطبعة وزارة الأوقاف.
- ٧١- سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين" د/ عبد الله بن إبراهيم اللحيدان ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.
- ٧٢- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، دار صادر، بيروت ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط ١٠، ١٤٢٣هـ.
- ٧٣- الطريق إلى التراث الإسلامي "مقدمات تعريفية ومداخل منهجية" للدكتور علي جمعة محمد، ط، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط٤، ٢٠٠٩م.
- ٧٤- العمارة الإسلامية في مصر لعلياء عكاشة، الكتاب منشور على موقع مكتبة نور على شبكة الإنترنت.
- ٧٥- العمارة الإسلامية خصائص وآثار لأحمد السراج ، ط، مكتبة ومطبعة الطالب الجامعي- غزة، بتاريخ ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.
- ٧٦- قصة الحضارة لول ديورانت ، ط، دار الجيل، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٧٧- محاكم التفتيش د/ مسيس عوض، ط، دار الهلال.
- ٧٨- مساجد القيروان للدكتورة نجوى عثمان، ط، دار عكرمة - سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.

- ٧٩- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون لسعاد ماهر محمد ، ط، المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية.
- ٨٠- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام د/ محمد عمارة ، ط، نهضة مصر للطباعة
والنشر والتوزيع.
- ٨١- المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ، ط، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط ١٠،
١٩٩٣ م.
- ٨٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المؤلف: الندوة
العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني،
الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠ هـ.
- ٨٣- يوميات ألماني مسلم لمراد هوفمان، ط، مركز الأهرام للنشر والترجمة- القاهرة،
ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ترجمة د/ عباس رشدي العماري.

سابعا: مواقع الإنترنت:

- ٨٤- موقع ويكيبيديا على شبكة الإنترنت. wikipedia.org
- ٨٥- موقع الجزيرة على شبكة الإنترنت.
- ٨٦- صيد الفوائد على شبكة الإنترنت <http://saaid.org>.